

قراءة النص القديم

بلغة صناعية

أ.د. مصطفى عبد اللطيف جياووك

الطبعة الأولى 2016

الأستاذ الدكتور
مصطفى عبد اللطيف جياووك



قراءة النص القديم بلغة صناعيه



الأستاذ الدكتور
مصطفى عبد اللطيف جياووك



**قراءة النص القديم
بلغة صانعيه**

قراءة النص القديم بلغه صانعيه

الاستاذ الدكتور

مصطفى عبد اللطيف جياووك



دار الفراهيدي للنشر والتوزيع
Faraaheedi house Publishing and Distribuion
بغداد - شارع السعدون - قرب ساحة الفردوس

حقوق النشر محفوظة

لا يجوز نسخ هذا الكتاب أو إعادة طبعه

إلا بإذن خطي من الناشر والمؤلف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٥١) لسنة ٢٠١٦

العنوان : قراءة النص القديم بلغة صانعيه

المؤلف : أ.د. مصطفى عبد اللطيف جياووك

عدد الصفحات : ٩٤

الطبعة الأولى : ٢٠١٧

تصميم الغلاف : علي محسن علي



دار الفراهيدي للنشر والتوزيع

Faraaheedi house Publishing and Distribuion

بغداد - شارع السعدون - قرب ساحة الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

كتب الدكتور عبد العزيز المقالح في مقدمة كتاب " التيجان " انه قرأه وهو شاب مبتدئ " فلم تثر قراءته أية حماسة لأنه لا يزيد في نظري على مجموعة من الاساطير والأسمار... "

وأضاف بعد ذلك انه قرأ الكتاب مرة ثانية بعد فترة " هذه المرة بعين وقلب الشاعر لا بعقل الباحث أو المؤرخ ، وقد أدهشني حقاً وحملني الى عوالم من الخيال ... " وهذه هي حكاية النص العربي القديم . عدا الشعر الغنائي طبعاً .

فهو لا يقرأ أو لا يقرأه الا المؤرخون الذين لا عناية لهم بالخيال ، وهي سلبية مجحفة بالمرة .. تشمل التراث العربي او غالبية المطلقة ، ومثال ذلك ان من يقرأ تاريخ الطبري بحساسية الشاعر او الاديب فسيجد التراجيديا الكبرى في سيرة الرشيد وأولاده وأحفاده ..

المأمون حارب الأمين وحمل رأس أخيه اليه في خراسان .. ثم قتل المأمون أولاد الامين وقتل المعتصم أولاد أخيه المأمون ولم يلبث المنتصر أن قتل أباه المتوكل ابن المعتصم ... الخ .

وكل ذلك بدايات ونهايات من الحوار النفسي الذي ولدته هذه المآسي وتولدت منه .. يدرك ذلك من كان يملك عشر حس شعراء المسرح العظيم المشهورين .

وقد توالى على هذا التراث - وما كان منه جاهلياً خاصة - متواليات من التخريب والتشويه والعبث والنسيان والعصبية حتى صار انقاذ النص العربي القديم تجربة أو مغامرة من الحدس وتجميع

الشذرات من هنا وهناك لتؤلف شبحاً من النص القديم الذي كان يرويه
اعراب الجاهلية.

ويكاد الصدر الاول من المسلمين يكون قد محوا الوثنية العربية
محواً ، فهم لم يبقوا معبداً ولا صنماً الا تخلصوا منه واهم من ذلك ان
كل آلهة الجاهلية جردن من افعالها واستلبت خصائصها فلم يبق منها
الا اسماء لم تكن تفعل شيئاً .. لا شئ من الخوارق المتوقعة ينسب للات
والعزى ومناة وهبل ونسر وغيرها من الآلهة ..

وإذا قسنا بتواضع شديد بما كان يدور بين تموز وعشتار وانليل
ومردوخ ، ادركنا حجم التراث الوثني العربي الذي فقدناه .

وثمة خبر يتكرر كلما ذكر ابو عمرو بن العلاء راوية البصرة الاقدم
.. إذ يقال ان دفاتره كانت تملأ بيتاً الى السقف وانه احرقها حين تنسك
أو تقرأ .. ودفاتره هذه جمعت تراثاً شعبياً طائلاً وثنياً من اليمن خاصة
لأنه فر اليها من الحجاج بن يوسف .

وهذا الذي احرقه لا يشمل امرأ القيس او النابغة او الاعشى بل
يخص ما لا ينبغي ان يرويه المسلم المتدين .

ولهذا الراوية الكبير دافع آخر دفعه الى إتلاف ما جمعه من أدب اليمن
.. فقد روي عنه بالإجماع قوله إن عربية اليمن هي عربية اخرى غير
عربية القرآن الكريم .

ولا شك ان آخرين كانوا يشاركون ابا عمرو بن العلاء في عملية
إتلاف الوثنية الجاهلية وأدبها حتى اصبحنا كما مربنا لا نعرف
عنها الا اسماء آلهتها المجردة من القوى والخوارق التي تبرر عبادتها .

أمر آخر أضرب عنه الصدر الاول من المسلمين هو الخيال الشعبي
الحر الحي الذي كان لأعراب الجاهلية فقد حكم عليه أنه أكاذيب لا
جدوى من الاشتغال بتوثيقها .

والحق انهم تناولوا النص الجاهلي الذي للخيال فيه نصيب مهم بالإهمال كما يفعل المؤرخ الملتزم بالمنطق العلمي ، ولهم في ذلك طريقان .. إهمال النص اهمالاً .. أو شطب حمولته من الخيال .

وهكذا تخلصوا من الجن والسعالي والغيلان والتوابع وغيرها مما لم يبقوا له أثراً نقف عليه .

ولعل القارئ يحب ان يتأكد من هذا الخيال الذي تزعم غيابه .

ومنه مثلاً ما جاء في معلقة النابغة الذبياني الذي قال فيها :

أَمَسَتْ خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا إِحْتَمَلُوا

أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى بُدْرِ

وهي اشارة الى اسطورة كبرى كما نظن وما سنرى بعد ذلك .

وفي المعلقة نفسها يقول الشاعر : احكم كحكم فتاة الحي .. وهذه اشارة

الى اسطورة طسم وجديس او غيرها من قصص العرب البائدة ..

وفي المعلقة ايضا :

وَخَيْسُ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ

يَبْنُونَ تَدْمُرُ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

وهذا تلويح بما رواه العرب عن العبرية عن بلقيس وسليمان والزيّاء

وجذيمة الوضاح وهي ملحمة بقى لنا منها أقل القليل ..

وفي معلقة زهير " عطر منشم " وهو عطر أفنى قبيلتين في قصة لا نعرف

عنها غير هذه الاشارة وهي قصة يعرفها زهير وقد تناساها الرواة ومثلها في

المعلقة أم قشعم ، وهي اشارة الى مأساة كبرى منسية ايضا .

وهذا امرؤ القيس يذكر في المتبقي من شعره معابد كان فيها بغايا تمارس

طقوسا دينية وثنية نجهل طبيعتها ، وهو يشير الى ذلك بقوله :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي
فِيَا عَجَباً مِنْ كَوْرِهَا الْمُتَحَمِّلِ

وفي قوله في المعلقة ايضاً مشبهاً سرباً من المها بألوانها البيضاء
والسوداء :

فَعَنْ لَنَا سِرْبٌ كَانَ نَعَاجَهُ
عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذْنِلِ

وفي أخرى من قصائده :
وَيَيْتِ عَذَارَى يَوْمَ دَجْنٍ وَلَجْثُهُ
يَطْفُنَ بِجَبَّاءِ الْمَرَاْفِقِ مِكْسَالِ

وغير ذلك كثير لمن يفتش عنه ..
وهذه الاشارات الواضحة الى حكايات اعجبت الشعراء فأشاروا اليها
وذكروا بها معاصريهم كالذي يوجد في شعرنا الحديث من استخدام
الاساطير .

ومصطلح الجاهلية اللغوي غير المكشوف لنا تماماً ، والشروح التي
تركها علماء اللغة من السلف لم تعد تضي بحاجتنا ، واللغة وسيلة تفاهم
حية تتطور وتتبدل بلا توقف يولد فيها الجديد ويندثر ويموت فيها الكثير ،
وتتجدد دلالاته ويضاف اليها وينقص منها ..

هذا وغيره من الصعوبات ينبغي ان يكون في حسابنا حين نحكم بان
العرب كان لهم أو لم يكن ادب قديم مشدود الى خيال الناس في عصره
وقناعاتهم الدينية في أزمنتهم .. ما ولد منها عندهم وما انتقل اليهم من
الامم المحيطة بهم .

هذا بعض ما اردت ان افسر به عملي في النصوص التي قرأتها هذه
القراءة الخاصة ..

وللقارئ ان يحكم بنجاحها او فشلها .. فهي في حقيقتها تجربة ليس غير
، والاهم عندي ان يحاول غيري مثل محاولتي او انجح منها وان يتحلل من
هذه السلبية التي نتناول بها التراث العربي القديم .

د. مصطفى عبد اللطيف

نرميع أسطورة جزيمة والزبّاء

انجز الادب العربي في الجاهلية اسطورة جميلة تخير ابطالها من التاريخ لكنه اعاد صوغ هؤلاء الابطال وجمع بينهم في علاقات بعيدة البعد كله عن احداث التاريخ بحيث يمكن القول انه لم يستبق الا اعلام الناس وأعلام المكان ، ثم تدخلت الرواية الاسلامية بتصورها الخيالي فعدلت وحذفت او نسيت حتى أصبحت هذه الرواية معدولة عن أصلها بمرّة، وعلى هذا صرنا نعرف التاريخ ونعرف رواية إسلامية يحسب رواتها انها من التاريخ ، وهي معدولة عن النص الادبي الجاهلي ..

وبحثنا هو محاولة استعادة النص الادبي الجاهلي او ما امكن ترميمه ورده الى اصله وإتمامه منه ..

وثمة مقدمة اخرى لا بد منها ، هي ان محاولة ترميم الاسطورة أيسر وأقرب الى الحيلة المنهجية اذا تعلق بأبطالها ، وهو أصعب وأقرب الى المجازفة حين يتصل بالأحداث وصيرورة علاقات الأبطال ، ومن هنا قدمنا الحديث عن أبطال الاسطورة ونكاد نكون اقتصرنا على ذلك.

والزبّاء اول من نقف عندها من ابطال الاسطورة ، وهي في التاريخ المحقق ملكة تدمر ، ويظهر اسمها في الكتابات والآثار التدمرية في صيغة " بت زبّاي " ^(١) وتحول هذا في رواية المفضل الضبي وحده الى ابنة الزبّاء ^(٢) ..

وأبوها قائد عسكري كان يقود الرماة في جيش أذينة زوج ابنته الملكة ^(٣) ..

وأكثر الرواة المسلمين يختصروا يسمي " الملكة الزبّاء " وينسى البنوة تماما .

والزبّاء في الاسطورة ملكة جنية كانت تحكم مدينة بناها الجن وسكنوها ..

وهذا ثابت في موروث النابغة الذبياني الذي يقول في معلقته: ^(٤)

إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَّهُ
قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَأَحْدُهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَشَيْسَ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ
يَبْنُونَ تَدْمُرُ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

والمعنى الدقيق لقوله: (اذنت لهم) ان الجن ارادوا بناء مدينة لأنفسهم فأذن لهم الاله وابلغهم بذلك سليمان عليه السلام، وكانت العرب او عامتهم يزعمون حتى عصر الجاحظ ان الجن هي التي بنت تدمر،

وهو ينقل عن أهل تدمر انفسهم رفض هذا الزعم وانهم يروون ان تدمر مدينة بنيت قبل سليمان ، وان العرب تعودوا ان ينسبوا الى الجن كل بناء عجيب ^(٥).

على ان قدرة الزبّاء الخارقة تتجاوز تدمر الاسطورة .. فقد رووا انها بنت مدينتين اخريين على ضفتي الفرات ، ومدت نفقا من تدمر يمر من تحت مياه الفرات فيربط المدن الثلاث ^(٦) .. وهو نفق لا يحقق موضعه الا الزبّاء ولم يكتشفه الا قصير بعد جهد جهيد .. وهدف النفق والمدن هو الاحتياط من الاعداء ، وفي كيفية ذلك رووا انها سكرت الفرات وبنت ازجا بين ضفتيه ثم اجرت الماء فوقه .

واسم الملكة الزبّاء هو الصيغة المؤنثة لأزب ^(٧) وهو اسم من اسماء الجن والشيطان ، ومن ذلك ما روي من انه بعد بيعة العقبة الثانية سمع صوت منكرينذر المشركين بما جرى ، ورووا ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال هذا ازب العقبة ^(٨) ، وهو في تأويل الرواة شيطان . كذلك رووا ان عبد الله بن الزبير ^(٩) رأى مرة على رحله قزما في طول شبرين ،

فما زال يضربه بالسوط حتى اذعن وخضع ، فسأله ابن الزبير من انت؟ فقال : ارب قال وما ارب ؟ قال اسم للجن .

اما معنى الصفة هذه فيحيل الى وفرة شعر الجسم . يقول البكري في المفصل في ذلك : فأما زباء ممدودا فانما هو تأنيث ارب ولم يستعمل اسما ، وانما هو صفة لكثير شعر البدن ^(١٠) ووفرة شعر بدن الملكة يكتشفه جذيمة حين يخلو بها ويجدها قد ضفرته ، ويروون انها قالت له ساخرة من غفلته : أشوار عروس ترى؟ ^(١١) والجن تعرف بهذا عينه عند العرب ، حتى ليصف تأبط شرا بعض الجنيات بأنها " تلبس حلتين لم تنسجا من ورق الطلح " ^(١٢)

عَظَاءَةٌ قَفَرٍ لَهَا حُلَّتَا

نِ مِنْ وَرَقِ الطَّلَحِ لَمْ تُفَزَلَا

ويقول هو أو ابو البلاد الطهوي ان جلدها من فراء : ^(١٣)

ورجلا مخدج ولسان كلب

وجلد من فراء او شنان

وللجن اكثر من شراكة في الاسطورة سترد بعد ..

وجذيمة الابرش الوضاح هو ملك الحيرة والانبار ولا يعاصر الملكة ولا تعرف له صلة تاريخية بها ^(١٤) ..

واسم جذيمة جاء في نقش ام الجمال مجردا من القابه في الرواية الاسلامية ، والنقش شاهد قبر نقش عليه بايجاز : " هذا موضع [قبر] فهرين شلي [سلي] مربي ملك جذيمت ملك تنوخ " ^(١٥)

ومربي جذيمة في الاسطورة الجاهلية هو قصير فقد ذكر
المفضل الضبي الراوي الاقدم الاسلامي : " وكان له ربيب ومولى يقال له
قصير " .^(١٦)

وفعل في العربية تكون بمعنى الفاعل مثل كريم او المفعول مثل
حبيب . وعلى هذا يكون قصير لقبا لمربي جذيمة او ريبه فهربن سلي .
وعدم اتباع اسم الملك بصفات : الابرش ، الوضاح ، تشعنا بان هذه
الصفات الحقت بالملك في الاسطورة ، وربما اصاب الملك عاهة البرص
بسبب الجن او بسبب آخر .. او لعلها اتباع متأثر باسم الملك جذيمة
ويكون ذلك مثل : اسود حالك واصفر فاقع .

وينفرد المفضل الضبي فلا يورد في روايته شيئا عن حرب أو ثار بين
الحيرة وتدمر ..

والرواة الاسلاميون يروون ان جذيمة حارب ابا الزباء مليح بن البراء
ملك الحضر وقتله وطارده ابنته ، ويروي آخرون منهم انه قتل عمرو بن
الظرب ملك تدمر^(١٧) ، وفي هذه الروايات يكون مدار الخصومة بين الزباء
وجذيمة طلب الملكة بثأر ابيها اما امر استدراجه وايهامه بانها ترغب في
الزواج منه ، فهو رأيها في رواية^(١٨) ونصيحة لأختها زبيبة التي فضلت
المكر والحيلة على الحرب^(١٩) .

وفي رواية ثالثة ان الملك هو الذي كتب للملكة يخطبها ولم تكتب
له هي بذلك^(٢٠) ..

ورواية المفضل الضبي الاقرب من المصادر الجاهلية ترد خطبة الملك
الى ما سمعه عن جمال الملكة ، وسعيه الى ضم تدمر الى الحيرة في دولة
واحدة . وثمة ما يضيف احتمالا آخر فقد روى المفضل ان جذيمة كان
من أجمل رجال زمانه واحسنهم وجها^(٢١) .

ويضيف ابن الكلبي ان الزبّاء واسمها فارعة " لم يكن في زمانها احسن منها وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها" (٢٢) . فجمال الملك والملكة يشير الى اعجاب او اكثر من الاعجاب مما ورط الملك في تودد وخطبة لم تجد قبولا من الملكة الجنية التي وصفها قصير في رواية المفضل بانها لا حاجة لها في الرجال .. (٢٢) وتزيين الاسطورة بقصة الحب هذه ليس على كل حال فرضا بعيدا .

وروى الطبري عن ابن الكلبي ان جذيمة كان قد تنبأ وتكهن واتخذ الهين نصبهما بالحيرة واسمهما " الضيزنان " وان ايادا اخذتهما فحاربهم جذيمة واسترد الالهين ، يضاف اليهما عدي بن نصر الذي كان من لخم لكنه كان يعيش مع اخواله اياد (٢٣) .

وهذا الذي رواه ابن الكلبي له اهمية واضحة اذ ان الاسطورة الجاهلية كانت تتصل نوعا من الصلة بالالهة والكهانة ، وهو ما حاول الرواة المسلمون الموحدون طمسه واغفاله بحيث لم يعد بالوسع تحقيق هذه الرواية من الاصل .

والشخصية الاخرى المهمة قصير (شمر بن سلي) مربي جذيمة أو ربيبها ، وربما كان في الاصل تفسيرا لصفة القصر وربما كانت تتصل بدهائه وذكائه ..

ويحتمل ايضا تعلقها بالجني " ازب " الذي صادفه ابن الزبير . ودور قصير في الاصل نقلته الرواية الاسلامية قريبا مما كان ..

فهو خبير بالجن عارف بما يحبون او يكرهون يحسن الاحتياط من مكرهم بل يفوقهم مكره فهو ينضرد في الرواية الاسلامية بادراك ما تريد الزبّاء وهو الذي نجا منها وتمكين جيش عمرو بن عدي من دخول تدمر ، ودله على نفق الزبّاء ليقتلها قبل ان تدخله .

وعمر بن عدي كما جاءتنا صورته في الرواية الاسلامية يحتاج الى وقفة خاصة منذ ولادته ، فقد رووا ان ابيه عدي بن نصر نديم جذيمة تأمر مع اخته رقاش فسقى الملك الخمر صرفا حتى سكر .. وخطب اليه اخته ، فزوجه منها ودخل بها من ليلته " وادخلته عليها من ليلته فواقعها واشتملت على حمل .

واصبح جذيمة فرأى به اثار الخلق ، فقال : ماهذه الآثار يا عدي فقال : آثار عرسي برقاش .. ويعث جذيمة الى رقاش :

خَبَّرِينِي رَقَاشٍ لَا تَكْذِيبِينِي

أَبْحُرُّ زَنَيْتِ أَمْ بِهِجَيْنِ

أَمْ بِعَبْدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ

أَمْ بُدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِبُدُونٍ

فارسلت اليه : لعمرى ما زنيت ولكنك زوجتني فرضيت ما رضيت لي فنقلها الى حصن له فانزلها اياه وتم حملها فولدت غلاما " .^(٢٤)

الواضح من شعر جذيمة انه فوجئ بها حاملا او أما فسألها عن أبي ولدها .. واذا قسنا هذا المقطع من الاصل ببعض ما نعرف من حكايات عربية قديمة ، كان لنا ان نتصور ان جذيمة عزل اخته في حصن غير او حذرا ثم فوجئ بها حاملا من مجهول .. ومثل هذا جاءنا في حكاية المرقش الاصغر وفاطمة بنت المنذر التي جعلها ابوها في قصر لا يدخل اليها احد فيه : " وكان الحرس ينثرون التراب حول قبة فاطمة بنت المنذر ، ويجرون عليه ثوبا حين تمشي ويحرسونها ليلا فلا يدخل عليها الا ابنة عجلان ، فاذا كان الغد بعث الملك القافة فينظرون اثر من دخل عليها ويعودون فيقولون له : لم نر الا اثر بنت عجلان ... الخ " ^(٢٥)

ومما رواه القالي عن ابن دريد : " انه كان قيل من اقيال حمير منع الولد دهرًا ثم ولدت له بنت فبنى لها قصرًا منيضا بعيدا عن الناس ووكل بها نساء من بنات الاقيال ... فقلن لها يوما : يا بنت الكرام ، لو تزوجت لثم لك الملك فقالت : وما الزوج ؟ ^(٢٦) ..

وسوق الاحداث على هذه الشاكلة ابلغ فنيا وهو يعالج موضوع الغيرة المبالغ فيها في المجتمعات الخاصة ، ويؤكد استحالة عزل الجنسين . وانا افضل هذا السياق واظنه هو الذي كان في الاسطورة الجاهلية .

وتذكر الروايات الاسلامية ان جذيمة احب ابن اخته واولع به حتى يسميه البكري عمرو بن جذيمة ^(٢٧) ، ولعله يلمح الى ان الملك تبناه .. وتمضي فتتفق على ان الملك خرج في سنة مخصصة الى ظاهر الحيرة وكان معه جمع من ولدان الحي وانهم تفرقوا يجتثون الكمأة .. يأكلون الجيد منها ويأتون الملك بالرديء .. عدا عمرو فقد كان يأتي الملك بكل ما يجتني .. وقال في ذلك : ^(٢٨)

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ

وَكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

تذهب الرواية بعد هذا المشهد الى ان الجن استطارت عمرا وعجز خاله جذيمة عن العثور عليه .

فهل أغضب الصبي الجن الذين لم يلاحظ وجودهم حيث كان يجتني الكمأة .. وهذا السبب او غيره لا بد منه للربط بين اجتناء الكمأة واستطارة الجن اياه ، وتبقى العلاقة بين الكمأة والجن غير واضحة ، غير ان الجن الذين استطاروا عمرا يذكرنا بجن تدمر وملكتهم .. فمن المنطقي ان يكونوا هم الذين انتزعوا عمرا من خاله مما يجعل الاحداث

تتصل وتتواشج كما يحدث في القص والرواية . ومما يتصل بذلك على نحو ما الطوق الذي اشتهر به عمرو ذو الطوق ، وقد البسته امه اياه او خاله ^(٢٩) .

وهو في الرواية الاسلامية يبدو معلقا بلا وظيفة من اي نوع .. ولا بد انه في الاصل حلية سحرية او تميمة مرصودة علفت على عمرو بقصد حمايته من الجن او الحسد او المرض ، والعكس ممكن . اذ تكون الجن البسته اياه بعد ما استطارته لينسى خاله واهله والحيرة ويلبث عندهم .. ولا بد من تقدير انه حلية ذات علاقة باحداث الاسطورة على اية حال .

وفي رواية ابن الكلبي شخصية ابتسرتها الرواية الاسلامية هي شخصية قائد عسكري كاد يخلف جذيمة في الحيرة لولا تدخل قصير ..

فقد ذكر ابن الكلبي عمرو بن عبد الجن الجرمي وزعم انه لم يتحمل مسؤولية الثأر لجذيمة من الزبء ، وهذه النسبة ، واسم الاب " عبد الجن الجرمي " ، تجر هذه الشخصية الى الزبء التي جاء في بعض الروايات انها من " باجرمي " ^(٣٠)

وربما كان لهذه الشخصية شأن أكبر في الاصل من رفض الثأر لجذيمة ، فهو والملكة ينتسبان الى باجرمي ومما له ذكر غامض في الرواية الاسلامية " العصا " ، وهي الفرس التي هياها قصير ليفلت عليها جذيمة من اسر الزبء ، والتي فر عليها بعد ذلك هو نفسه ونجا بها الى الحيرة . وهي في الرواية فرس سريعة " لا يشق غبارها " ^(٣١) .

وأجد من هذا ان نظنها فرسا اسماها العصا أو " عصا " ذات قدرة خارقة خاصة مكنت قصيرا من الافلات من مطاردة جن الزبء .. ولا بأس ان نشير الى أمثلة من خيالات العرب تقربنا مما نحن بصدده ، فقد روى الجاحظ عن أبي نؤاس : " ... فقلت له مازحا : رأييت القنفذ إذ امتطاه الجنى وعلا به في الهواء ، هل القنفذ يحمل الجنى ام الجنى يحمل

القنفذ ؟ قال: هذا من اكاذيب الاعراب ^(٣٢) " ويذكر الاخباريون " مراكب " اخرى للجن . ^(٣٣)

وروى الجاحظ ايضا : " وذكر ابو زيد عنهم ان رجلا منهم تزوج السعلاة ... حتى رأت ليلة برقاً على بلاد السعالي ، فطارت اليهن " . ومن هذا الخلق المركب عندهم بنو السعلاة من بني عمرو بن يربوع ، وبلقيس ملكة سبأ ^(٣٤) .

ونظن على هذا ان قصيرا طار على العصا ، وتكون العصا شيئاً قريباً من البساط الطائر وما يؤدي وظيفته في الادب الشعبي . والقوافل التي كان قصير ينقلها من الحيرة الى تدمر وكانت وسيلته لادخال عمرو بن عدي وجيشه الى تدمر كانت في الاصل الجاهلي كما نرجح طريقة رمزية معروفة يسترضي بها العرب الجن اذا ظنوا انهم يعاقبون انسانا لسبب ما ، كانوا يصنعون دمي في صورة الجمال ثم يحملونها من الطعام ما يظنون انه يرضي الجن على سبيل الفدية ويتركونه معروضا للجن في المساء ، فاذا رأوا في الصباح الطعام على ما تركوه زعموا ان الجن تطلب مزيدا فيزيدون حتى ترضى الجن وتأخذ ما قدموه لها، ^(٣٥) وهذا التدبير يتصل بكون الجن عندهم يستحيلون في صور شتى منها الحيات والعقارب والخنافس وغيرها . ^(٣٦)

وروا من ذلك ان حرب بن امية ومرداس بن ابي عامر احرقا غيضة تسكنها الجن وازدراعاها فخرجت منها حيات بيض ... ثم ان الجن قتلت الرجلين ، ^(٣٧) ورووا ان بني سهم من قريش حاربوا الجن في مكة في الجاهلية في ثأر لهم فقتلوا الحيات والخنافس على جبال مكة حتى ضجت الجن وطلبت الصلح ... ^(٣٨) فقوافل قصير ذات علاقة بهذه القوافل المصغرة الرمزية ولا نجزم على كل حال بكيفية ملاءمتها في الرواية لوظيفتها فيها .

ان التحصيل العام لعملية الترميم التي اجريناها بدأت في الحقيقة من اعادة الزياء الى هويتها في الخيال الجاهلي ، ومن هذه البداية حاولنا اعادة مفاصل الرواية الاصل الى ما يلائم العلاقة بين جذيمة الانسان ، والزياء الجنية ...

وكان الراوي الاسلامي فعل عكس ذلك ، اذ انه غير هوية الملكة وجعلها امرأة من الناس واضطر الى ان يغير كل شيء ويحوّله الى ما يلائم صراعا بين ملك وملكة من البشر..

وما بدأنا به ليس فرضا صرفا ، اذ ان عالم الانسان والجن كان منفتحا واحدا يخلص فيه الانسان الى الجني والجنى الى الانسان ، ففي القناعة العربية الجاهلية ان بلقيس ملكة سبأ ولدت لأب من الانس من زوج من الجن ،^(٣٩)

وفي هذه القناعة ان رجلا من تميم تزوج السعلاة ونسب بنوه اليها ..فهم بنو السعلاة ،^(٤٠)

وسرد ابن النديم في الفهرست قائمة في القصص المؤلفة في حب الانس للجن ، وحب الجن للانس .^(٤١)

وذكر ابن خلكان ان ابالسري سهل بن ابي غالب الخزرجي " وادعى رضاع الجن ، وأنه صار اليهم ، ووضع كتابا ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم " " وله اشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالي "^(٤٢)

ونلاحظ اخيرا ان التشكيل اللغوي الفني للأصل كان يجمع الشعر الى النثر ولعل السرد كان نثريا وكان الحوار شعرا..

غير ان كثيرا من التحريف والتلف طرأ على الحوار خاصة ، ومن احدث ذلك ان محققي الاغاني وجدوا في أصولهم المخطوطة قولاً لعمر بن عدي كتب موزعا على صدر وعجز :

ان تنكراني أو تنكرا نسبي

فانا عمرو وعدي ابي

ولما وجدوا وزنه مختلا أدرجوه في النثر...^(٤٣) وصدر هذا القول من

المنسرح والبيت مصرع لكن شيئا سقط من العجز..

ومما جاء من الشعر السالم من النقص قول عمرو بن عدي حين

صرفت قينة مالك وعقيل عنه الكأس ولم تسقه من خمرها :

صَدَدْتُ الْكَاسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو

وَكَانَ الْكَاسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو

بصاحبيكَ الَّذِي لَا تُصْبِحُنَا

وجاء رد القينة على هذه الشاكلة :

اعطني العبد ذراعًا

[طلب] العبد كراعًا

وبهذه الزيادة على العجز أو ما يماثلها نجد بيتا من الرمل ومما رووه

عن عمرو في الكمأة التي كان يأتي بها خاله جذيمة وهو من الرجز:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ

وَكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

وجاء من قول جذيمة في اخته حين علم بحملها

خَبَّرِينِي رَقَاشٍ لَا تَكْذِبِينِي
أَبْحُرُّ زَيْنَتِ أُمِّ بَهَجِينَ
أُمُّ بَعْبَدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ
أُمُّ بُدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِبُدُونٍ

وجاءت اجابة رقاش نثرا على غير ما يتوقع السامع .. ومن هذا الشعر
رجز الزبىء المشهور : ما للجمال مشيها وثيدا
وجاء في بعض طرق الرواية ان قصيرا قال في نفسه ردا عليها
بل الرجال جثما قعودا^(٤٥)
وكثير من الامثال في النص جاء موزونا أو يكون موزونا بتعديل أو
اضافة طفيفة .. ومن ذلك

[و] لأمر ما جدع جدع قصير انفه متدارك
دعوا دما ضيعه أهله سريع
أدأب عروس ترى متقارب
ويلمه حزما على ظهر العصا رجز
ولا جديد يلاحظ في المراوحة بين الشعر والنثر في التراث .. فهي
ظاهرة لا تكاد تتخلف ..

ونحن نجدها في التواريخ والسير والمقامات وغيرها

=====

الهوامش

- ١- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي ، ١٠٧/٣
- ٢- امثال العرب ، المفضل الضبي ، ص ٨١
- ٣- المفصل ، ٩٣/٣ - ٩٤
- ٤- مختار الشعر الجاهلي ، ص ١٥١
- ٥- الحيوان ، الجاحظ ، ١٨٦/٦
- ٦- اجمعت الروايات على ذكر الانفاق والمدن ، ومن ذلك الاغاني ، دار الكتب ، ٣١٤ / ١٥ ، وفي تاريخ الطبري ان ابا الزبء هو الذي اعد النفق لها ولاختها . وجاء في المفصل ١٣٢/٦ " وقد عثر على بقايا سراديب وانفاق تحت اسوار تدمر وقلاعها ...".
- وفي امثال العرب روى المفضل للمخبل السعدي طلب ابنة الزبء وقد جعلت له دورا ومسربة لها انفاق
- ٧- التاج والقاموس المحيط " زبء"
- ٨- سيرة ابن هشام ، ٤٤٧/١
- (٩)
- ٩- النهاية في غريب الحديث ، ٤٣/١
- ١٠- فصل المقال ، ص ١١١
- ١١- اجمع الرواة على ذلك ومنه امثال العرب ، ص ٨٢ ؛ فصل المقال ، ص ١١٠ ؛ مجمع الامثال ، ٣٢٧ / ١
- ١٢- شعرتأبط شرا ، ص ٤١ - ٤٢
- ١٣- شعرتأبط شرا ، ص ١٧٦ ؛ الحيوان ٢٣٤/٦
- ١٤- المفصل ، ١٨٧/٣ وليس في تاريخ تدمر في المفصل ١٥٥/٣ ولا في تاريخ الحيرة ذكر لعلاقة سلمية او حربية بين المملكتين .

- ١٥- المفضل ٨٣/٣ والنقش مدون باليونانية والنبطية .
- ١٦- امثال العرب، ص٨١
- ١٧- حياة الحيوان الكبرى، ٤٧٥/١؛ تاريخ الطبري، ٦١٨/١؛ الاغانى ٣١٤/١٥؛ فصل المقال، ص١١٠
- ١٨- مجمع الامثال، ٣٢٥/١؛ وفي فصل المقال ص ١١٠ انها حاولت خداعه مرارا " ولم تزل ابنته تنصب له الحبائل وتطمعه في نكاحها ...".
- ١٩- الاغانى، ٣١٦/١
- ٢٠- امثال العرب، ص٨١
- ٢١- امثال العرب، ص٨١
- ٢٢- حياة الحيوان الكبرى، ٤٧٥/١
- ٢٣- تاريخ الطبري، ٦١٤/١
- ٢٤- تتفق الروايات على هذا . ومن ذلك الاغانى، ٣١٢/١٥؛ مجمع الامثال، ١١١/٢
- ٢٥- الاغانى "دار الكتب"، ١٣٦/٦
- ٢٦- امالي القالي، ٨٠/١
- ٢٧- فصل المقال، ص٣١٤
- ٢٨- تتفق الروايات هنا .. ومنه امثال العرب، ص٨٥؛ الاغانى ٣١٣/١٥
- ٢٩- امثال العرب، ص٨٦؛ الاغانى ١٣٥/١٥؛ مجمع الامثال، ١١١/٢
- ٣٠- مجمع الامثال، ٣٢٧، ٣٢٥/١
- ٣١- تتفق الروايات هنا ومنها امثال العرب، ص٨٢

(١٠)

٣٢- الحيوان، ٢٣٩/٦

٣٣- الحيوان، ٤٦/٦

٣٤- الحيوان، ١٩٧/٦

- ٣٥- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد، ٣٥٧/١٩ :بلوغ الأرب، محمود شكري الألوسي، ٣٩٨/٢
- ٣٦- الحيوان، ٤٦/٦- ٤٧
- ٣٧- الأغاني، ٣٤١/٦- ٣٤٣
- ٣٨- تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧١٢/٦
- ٣٩- ثمة روايتان في نسبة بلقيس الى الانس والجن ، اولاهما في :تاريخ العرب قبل الاسلام المنسوب الى الاصمعي، ص٧ والاخرى في التيجان ، ص ١٤٥ - ١٤٧
- ٤٠- الحيوان ، ١٦١/٦، ١٩٧،
- ٤١- الفهرست ، ص٣٦٧
- ٤٢- وفيات الاعيان ، ٣٠٨/٤،
- ٤٣- الأغاني، ٣١٥/١٥،
- ٤٤- نصوص الابيات والامثال مقتبسة من مجمع الامثال، ٣٢٥/١، ١١١/٢،
- ٤٥- زيادة ينضرد بها الميداني في مجمع الامثال ، ٣٢٩/١
- توجد روايات مفصلة من هذا النص في :
- (١) امثال العرب للضبي من روايته ص ٨١
 - (٢) الأغاني، ٣١٢/١٥ عن ابن الكلبي وابن حبيب والرقبي بن القطامي وغيرهم.
 - (٣) مجمع الامثال عن ابن الكلبي ، ١١١/٣٢٥.٢/١،
 - (٤) تاريخ الطبري عن ابن الكلبي ، ٦١٣/١،
 - (٥) حياة الحيوان الكبرى عن ابن هشام وابن الجوزي ، ويرد ابن الكلبي في اثناء الرواية . ورواية ابن الكلبي هذه لا تتفق في هذه المصادر .

المصادر

- ١- الاغانى ، ابو الفرج الاصفهاني ، دار الكتب، تصوير وزارة الثقافة، مصر.
- ٢- امالي القالي ، ابو علي القالي ، مصر، ١٩٢٦
- ٣- امثال العرب ، المفضل الضبي ، ط١، مصر، ١٩٠٩
- ٤- بلوغ الارب ، الالوسي، ط١ .
- ٥- تاريخ الطبري ، ت ابو الفضل ابراهيم، ط٦، دارالمعارف ، مصر، ١٩٩٠
- ٦- تاريخ العرب قبل الاسلام - منسوب الى الاصمعي ، ت محمد حسين ال ياسين ، البلاغ، بيروت، ٢٠٠٤
- ٧- حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ، نشر ذوي القربى، ايران ، ١٤٢٥ هـ
- ٨- الحيوان، الجاحظ، ت عبد السلام هارون ، البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٣
- ٩- سيرة ابن هشام، ت مصطفى السقا، تصوير بغداد، مطبعة واوفسيت منير
- ١٠- شعر تأبط شرا، ت سلمان داوود القرغولي، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٧٢
- ١١- شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد، ابو الفضل ابراهيم، وزارة الثقافة الايرانية، ٢٠٠١
- ١٢- فصل المقال في شرح الامثال، البكري، ت عبد المجيد عابدين ، احسان عباس، ط١، الخرطوم، ١٩٥٨
- ١٣- الفهرست ، ابن النديم، رضا يحدد، طهران، ١٩٧١
- ١٤- مجمع الامثال، الميداني، مكتبة الحياة، ط٢، بيروت
- ١٥- مختار الشعر الجاهلي . من المعلقة . ت مصطفى السقا، ط٤، البابي الحلبي، مصر، ١٩٧١
- ١٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي، ط٢، ١٩٩٣
- ١٧- النهاية في غريب الحديث ، ت الزاوي والطناحي، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩
- ١٨- وفيات الاعيان ابن خلكان، ت محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٤٩

حكاية لقمان بن عاد

ليس غريباً أن يتعدد رجال يطلق عليهم أسم واحد ، ولقمان علم من هذا النوع .

هناك لقمان القرآن الكريم ولا نقول عنه شيئاً غير أنه ليس لقمان صاحب النصور المغامر الذي حاول قتل ابنه من أخته لقيم ، كما روى شراح الأمثال تحت عنوان المثل " أشبه شرح شرحاً لو أن أسيمرا .

وثمة لقمان آخر يشبه احيقار الآشوري ، وايسوب الأغريقي .. وقد ذكر الدميري لقمان هذا وسماه لقمان بن عنقاء بن بيرون ، وقال انه نوبي من أهل أيلة ... الخ ^(١) .

ولقمان آخر عرض مجلته سويد بن الصامت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيها " إن هذا الكلام حسن " ^(٢)

الذي يهمننا ونسأل عنه هو صاحب النصور لقمان بن عاد ، المغامر الماكر الذي تناثرت حكاياته في كتب التراث وفقدنا الجامع بينها لأنها جاءت في شروح الأمثال خاصة ولأسباب أخرى سنقف عند بعضها .

وأول تعريف نظمئن إليه هو الذي رواه المفضل الضبي في أمثاله ^(٣) ، وجاء عند شرح إشارة في شعر طرفة بن العبد هي قوله :

وَهُمْ أَيْسَارُ لُقْمَانَ إِذَا

أَغْلَتِ الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الْجُرُرِ

زعم المفضل - وهو يفصل هذا التعبير عندما يروي عن غيره - أن لقمان بن عاد جاور حيا من العمالقة ، وهم عرب ، فملاً عساً له لبناً ثم قال لجارية له " انطلقى إلى سيد هذا الحي فأعطيه إياه وإياك أن تسألي عن اسمه واسم أبيه فانطلقت حتى أتتهن فإذا هم بين لاعب وعامل في ضيعته ومقبل على أمره .. حتى مرت بثمانية نفر عليهم وقارة وسكينة ..

" وقد تعرفت جارية لقمان على سيد الحي وأعطته عس اللبن من وصف أمة للحي وصفته ووصفت الرجال الثمانية .. " فقال من أنت يا جارية ؟ قالت : جارية لقمان بن عاد [قال] وكيف هو ؟ قالت شيخ كبير وهو بخير .

قال : وكيف بصره ؟ قالت كليل والآلة ، لقد كلّ بصره واسترخی شفره فما يبصر إلا شفا " أي شيئاً قليلاً " وأنه على ذلك ليعرف الشعرة البيضاء بين صريح اللبن والرغوة .

قال : فما بقي من قيافته ؟ قالت : هو والله قد ضعف بصره واشتبهت الآثار عليه ، وأنه على ذلك ليعرف الذرة الأنثى من الذرة الذكر في الصفا الأملس في ليلة ظلمة ومطر .

قال : وكيف أكله ؟ قالت : قليل والإله لقد كلّ ضرسه وانطوت أمعاؤه وما بقي من أكله إلا انه يتغدى جزورا ويتعشى آخر ويأكل بين ذلك جذعه من الإبل .

قال : فما بقي من رمايته ؟ قالت : والإله لقد ضعف عضده وأرغشت يده وما بقي من رمايته إلا انه إذا رمى لم تقم رابضة ولم تريض قائمة ولم تمسك مخطأة ولدا .

قال : ويلك وكيف قوته ؟ قالت قليلة والإله ، لقد رق عظمه وانحنى ظهره وضعفت قوته وكبرت سنّه ، وما بقي من قوته إلا انه إذا غدا في إبله احتفر لها ركية فأرواها وإذا راح احتفر لها ركية وأرواها .. " ويعقب المفضل فيقول : وهؤلاء أيسار لقمان ... الخ .

النص القديم والحكاية الأصل الذي نسأل عنه تتجلى فيه هذه الخوارق لا محالة ولكن على نحو أكبر وأبلغ إعجازا .. ذلك أن الجارية وصفت الباقي من قوة لقمان وبصره وقيافته وأكله والباقي من حكايات

لقمان ليس فيه من ذلك إلا القليل .. ونحن نقبل تعريف المفضل هذا ونظنه من النص القديم .. وقد جربنا رواية المفضل حين انضرد بتسمية (ابنة الزباء) موافقا فيها تسميتها في آثار تدمر الباقية ..^(٤)

معلم آخر يعيدنا إلى أصل حكاية لقمان أو حكاياته هو نسوره المشهورة كما ذكرتها الرواية العربية الجنوبية المنسوبة إلى الجرهمي^(٥) وفيها من التفاصيل المهمة في الحكاية الأصل ما أغفلته الرواية الشمالية التي لم تبق من علاقة النسور بلقمان إلا أنه عاش ما يعادل أعمار السبعة النسور جميعا .

اتسع القول للجرهمي ان يسمى النسور السبعة بأسمائها واحداً واحداً، المصون، وعوض، وخلف، ومغيب، وميسرة، وأنس، ولبد . وقد كان يدعوها بأسمائها فتلبيه كما جاء في رواية الجرهمي ، وهي تجري على هذا النحو : " فبينما لقمان يدور في جبل أبي قبيس سمع مناديا لا يرى شخصه وهو يقول : يا لقمان بن عاد ، المغرور ببقاء النسور ، اطلع رأس ثبير ليس يعدو قدرك المقدور ، فطلع رأس ثبير فإذا هو بوكر نسرفيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيها فاختار احد الفرخين ثم عقد في رجله سيراً وسماه المصون ، وكان لا يغفل عن إطعامه حتى تم طائراً مسخراً له يدعو به باسمه للمأكل فيجيبه حتى أدركه الكبر ... الخ

وهذا السياق يتكرر مع كل نسر .. صوت يسمعه لقمان ولا يرى صاحبه يدلّه على وكر نسرفيه بيضتان تفلقتا عن نسريهما .. فيختار أحدهما ويعقد في رجله سيرا ويسميه ويطعمه .. وهو مسخر للقمان .. مأمور بطاعته ، يأتيه إذا دعاه باسمه .. وهذا الصوت الذي لا يرى لقمان صاحبه يصر على تثبيط شهوة لقمان للخلود أو طول الأمل في ذلك .. ويذكره بأن عمره إلى النهاية المقدرة الواجبة على كل إنسان : " ..

مغيباً لم يغب من حلول موت قد كتب على أهل المشرق والمغرب وإلى الموت يصير البشر .. " " وستموت كل نفس " .

وعند لبد ، وهو النسر السابع ، يقول صاحب الصوت .. " فرخ به وفاء الموعد .. " على إن لقمان يعثر على نسوره في أماكن يدلّه عليها هذا الصوت المجهول .. يفهم منها إن لقمان نفسه ما كان مستقراً في وطن بعينه فبعض نسوره التقطه من مكة .. وبعضها من الطائف وآخر من السراة وبقيتها من أماكن شتى لا نستطيع أن نتعرف عليها .

من الجلي المؤكد إذن إن لنسور لقمان في النص القديم الأصل وظائف تتعدى كون عمره مرهونا بعمرها ..

إذ لا يستقيم لنا أن نتصور أن لقمان لم يفد من نسوره المسخرة له في مغامراته وصراعه مع أحواله وأنداده ..

فما معنى طاعتها له إذا دعاها باسمها كما يؤكد الذي يدلّه عليها . لا مفر من أن نعد هذه النسور شريكا مشاركا للقمان .. تأتية بالأنباء ، وتنقذه حين يحاط به .. وهذا لازم لنص الجرهمي على أنه كان يدعوها بأسمائها ونصه على أنها كانت تستجيب لدعائه .. وهذا يزيد بالضرورة على مجرد التوقيت لعمر لقمان بن عاد .

أما الوظيفة الثانية فبنائية فنية لا بد من اعتبارها .. فهذه النسور سبعة توالى نسرا بعد نسرفي النص ولم توجد مرة واحدة ومعنى ذلك أن كل نسر منها شارك لقمان في رحلة أو مغامرة أو مرحلة من حياته بلغت سبعة بعدد النسور ومن المستحيل جمعها في حدث واحد من أحداث حكاية لقمان ..

ولا بد أنها أحداث مستقلة تملأ فترة حياة النسر الطويلة .. ويؤكد هذا أن لقمان التقط نسوره من أماكن متباعدة ولم يكن مقيماً في مكان ثابت لا يبرحه .

وعلى هذا نرى أن للنسور وظيفة الحكاية الإطار لسبع حكايات مستقلة .. ولا ننسى مع هذا طبيعة الإيجاز والتركيز الشديد في النثر العربي القديم ، فنحن نقدر إذن سبع حكايات شديدة الإيجاز عريضة الأحداث والتحويلات ..

ولطول عمر النسور نرجح أن الحكايات المتفرعة تصور مرحلة من حياة لقمان أو حياته في مكان ما في جزيرة العرب أو في جزر عجائية مثلا ..

تبقى للنسور وظيفة تؤكد عليها الرواية الشمالية .. وهي أن لقمان عمراً طويلاً ساوى عمر سبعة نسور .. وأن هذا العمر الطويل كان منحة إلهية جاءت له حين كان مع وفد عاد إلى البيت الحرام .

ويتفاوت الرواة والشرح لحكاية لقمان في تقدير عمر نسوره فيصلون بعمر لقمان إلى المئات والآلاف .. والذي نراه أن هذه الوظيفة ليست أساسية مهمة .. فأعمار الناس القدماء وسيرهم تخفى على الرواة وتجنح إلى أن تكون خرافية مبالغاً فيها .

ومما جاء في قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان " وفي فترة لا تقل عن ٨٠٠ ر ٦٤ سنة حكم خلالها أريدو ملكان أثنان فقط ثم نقلت الملكية لسبب غير معروف إلى باد- تبيرا حيث حكم ثلاثة ملوك كان أحدهم الإله دموزي نفسه ١٠٨ ر ٠٠٠ سنة ... الخ .

ويقارن جورج رو^(٦) هذه الأرقام الخرافية بأعمار أبناء وأحفاد آدم كما ذكرت في التوراة وهي تزيد على تسعمائة عام ويقول معلقاً على ذلك : "...

وإنما تعكس ببساطة اعتقاداً كان شائعاً بوجود عصر ذهبي عاش فيه البشر مدداً أطول بكثير من الآجال المعتادة .. وتملكوا خلال ذلك صفات خارقة ...".

وفي رواية لأبي حاتم السجستاني^(٧) ان سطيحاً الكاهن عاش ثلاثين قرناً وأما من عاش ثلاثمائة أو ريعمائة من السنين فكثير .
وقد كانت عاد تمتاز ببسطة في أجسامها وقوتها وطول أعمارها ..
ولا يقتصر ذلك على لقمان .. يقول الجرهمي^(٨) : " وكان الله قد أعطاهم بسطة في الجسم وقوة في الأبدان وسعة في الأرزاق ومهلا في الأعمار لم يعطه أحدا من الخلق من بعد قوم نوح .

إن صلة النسر بعمر لقمان الطويل ليست هي الصلة الأساسية الأولى .. بل الرباط الديني الذي حجه رواية حكاية لقمان مع إن النسر إله عربي جاهلي وجد في الآثار الجاهلية المكتوبة والمنقوشة في الشمال والجنوب من الجزيرة العربية^(٩) . وذكره القرآن الكريم ، وفي نصوص من الشعر الجاهلي منها^(٩) .

أَمَّا وَدِمَاءُ مَاثِرَاتٍ تَخَالُهَا

عَلَى قُنَّةِ الْعُزَّى أَوْ النَّشْرِ عِنْدَمَا

ومنها إشارة زهير إليه في سباق وصفه لصقريطارد قطاة^(١٠) .

فَزَلَّ عَنْهَا وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ

كَمَنْصَبِ الْعَتْرِ دَمَى رَأْسَهُ النَّسْكُ

وأدل من ذلك إشارة شاعر عربي قديم من قبيلة بكر بن وائل إلى أن بني يشكر من القبيلة نفسها كانوا سداة الإله نسر وكانوا يربون نسرا طبيعيا حيا .. وكانت سدانتهم هذه تطغيهم على أبناء عمومتهم .. فقتلوا هذا النسر وأزالوا بذلك عز يشكر .. يقول عمرو بن ناشرة^(١١) :

وَنَحْنُ هَدَمْنَا عَزَّيْشَكَرَ بَعْدَ مَا

مَضَتْ حَقْبَةُ تَحْمِي الرِّيَاضِ وَتَغْشَمُ

ونحن وطأنا هامة الفرخ إذ عسا

على حين لا يفشى ولا يتكلم

ويضيف المرزباني : " وهو الذي أزال رئاسة يشكر بن بكر عن ربيعة
وقتل فرخ النسر الذي كان لي شكر فانتقلت الرئاسة ..."

وقولهم انه كان لي شكر فرخ نسري يعني انه رمز حي للإلههم نسر
كما كان لقمان يلتقط نسوره فراخا ويعني بها ويتمتع بطاعتها حين
تكبر ويستبدل بها حين تموت ..

وبعبارة أوضح ، كان لقمان سادناً للإله نسر سبع دورات تبدأ كل
دورة بالتقاط فرخ نسريدله على مكانه صوت لا يرى صاحبه وتنتهي
بموت النسر والتقاط نسر آخر ..

وما أقرب أن نفترض إن صاحب الصوت الغامض هو الإله نسر نفسه
.. وانه الإله الحامي للقمان بن عاد ..

وكان الكثير من الأبطال القدماء يحظون بحماية وعناية إله من
آلهة قومهم مثل عشتار أو أنكي أو زيوس أو أدونيس .. لكن الرواية
الإسلامية شطبت اسم الإله نسر وجعلت صوته يسمع فحسب إذ لم يكن
من المقبول أن تنسب إلى الآلهة الجاهلية الوثنية أية قدرات أو آثار خارقة
في حياة الإنسان ..

ومن هنا كانت آلهة العرب الوثنيين أسماء لا ينتسب إليها أي عمل
أو تأثير في حياة الناس .

على أن لقمان كأبطال الأساطير القديمة أحياناً كان من أهم
همومه استحالة الخلود عليه .. وكان الصوت الذي يدلّه على نسوره
يكرر على مسامعه أن الموت لا مفر منه وإن عليه أن لا ينسى هذا المصير

الإنساني .. وهو يشبه بطل السومريين جلجامش الذي حبّطت كل مساعيه لتحقيق الخلود لنفسه ..

أما لقمان فكان يعنى بنسوره ويحاول أن يطيل في أعمارها .. وكان يرثي نفسه ويبكي ويودع نسوره وهو عالم بأنه يودع مدة من عمره .. وفي روايات القدماء أن لقمان سمى نسره الأخير لبد وتعني الدهر أو الزمن الطويل لكن ذلك انتهى إلى خوف لقمان من المجهول الذي لا مفر منه .

إن هذا الذي مربنا هو بعض ملامح الحكاية الأم الإطار التي تتفرع منها الحكايات السبع التي قدرنا وجودها في الأصل .. ومن المؤسف أنها فقدت بمرّة ولم يبق منها إلا نثار وشظايا لا سبيل إلى لها وتوحيدها ولا إلى تصور صلتها بالإطار العام .. وهو أمر مرده إلى أن الرواة الميالين إلى الإيجاز والسرعة انتقوا ما ناسب ميولهم هذه ومحووا ما لم يجدوا ما يعجبهم من مثل عبارات الأمثال السائرة التي أثارت خيالهم وإعجابهم بإيجازها الكبير .. وثمة احتمال آخر وجيه راجح هو أن النص في الأصل مشروط بعلاقات وثنية كان لا بد من نسيانها .. وقد نسيت معها روابط الحكايات الكثيرة المتناثرة التي نجدها في شروح الأمثال خاصة .

على إن حكاية لقمان مع النسور على النحو الذي نجده عند الجرهمي تنقصها اللقاء السابق بين لقمان والآله نسروا إذا ترخصت في تصور البداية فهي عند سعي لقمان لنيل الخلود عند الآلهة ومنها نسر ، وقد استحال عليه الخلود كما يستحيل على الإنسان وعوضه نسر بالنسور السبعة . ولا أتردد في أن هذه البداية مستوحاة من جلجامش لأنها تجربة إنسانية مشتركة .

المصادر والهوامش

- ١- عجائب المخلوقات والحيوانات، القزويني وطبع بصحبة كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري، ٣٩١/١، قم، ايران، ١٤٢٥ هـ
- ٢- المفصل، جواد علي، ٣١٨/١ وقد جمع أخبار من سمي بلقمان، ٣١٤/١، طبعة ثانية، ١٩٩٣ .
- ٣- أمثال العرب، المفضل الضبي، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦١
- ٤- المفصل، جواد علي، ١٠٧/٣؛ أمثال العرب، المفضل الضبي، ص ١٤٦
- ٥- أخبار عبيد بن شربة الجرهمي، نشر مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، ط٢، صنعاء .. والإحالات التالية الى الجرهمي الى هذا المصدر، ص ٣٧٠ وما بعدها
- ٦- العراق القديم، جورج رو، ترجمة حسين علوان حسين، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٥٧
- ٧- كتاب المعمرين، ابو حاتم السجستاني، ص ٣، تحقيق جولد زيهري، ليدن، ١٨٩٩
- ٨- المفصل، جواد علي، ٢٦٣/٦، ٣٠٧
- ٩- معجم الشعراء، المرزباني، تحقيق د. فاروق سليم، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٣٦
- ١٠- مختار الشعر الجاهلي، ٢٥٤/١، تحقيق مصطفى السقا، ألبابي الحلبي، ١٩٧١
- ١١- معجم الشعراء، ص ٦٠، وذكر المحقق د. فاروق سليم إن الخبر ورد في جمهرة انساب العرب أيضا، ص ٢٠٨

مجنون ليلی
عاشق الطبیة لیلۃ

اعتمد طه حسين على كتاب الاغانى عندما كتب دراسته للغزل في العصر الاموي^(١) وذهب الى ان ما روي من سير العشاق في هذا العصر يشبه القصص الغرامية في العصر الحديث كما يعرفه^(٢) وقرر انه سيدرس ما ورد في الاغانى من سير الشعراء العشاق دراسة فنية لا تاريخية.

وقد ألح عليه في هذه الدراسة معيار واحد مفرد يعتمد على مقولة ارسطو الشهيرة التي ذكر فيها أن مادة الكتابة التاريخية هي ما يقع فعلا ، وان مادة الادب أو الشعر هي ما يقع وما يمكن ان يقع...^(٣) وبهذا المقياس حكم على قصة مجنون ليلى بعد أن أخرجها من دائرة التاريخ بأنها سخيضة تافهة^(٤) ، وان مؤلفها منقوص الحظ من الخيال والفن .. لأنه أسرف في جعل بطله يصاب بالانغماء ويغشى عليه^(٥) ، ولجأ الى الإحالة حين زعم ان المجنون فارق البشر وتوحش وألف اسراب الوحش وألفته .

وقال طه حسين في شخصية المجنون " مثل هذا الشخص لا يمكن أن يكون حقيقة " و " لا يمكن أن يكون بطلا لقصة صادقة " " لان قصة المجنون سخيضة ضعيفة مملوءة بالاحالة والمبالغة " ^(٦) ، وقال في المقارنة بينها وبين قصة قيس بن ذريح التي رضي عنها ووجدها جيدة " أما هذه القصة فجيده حقا لا ينبغي أن تقرر الى هذا السخف الذي تحدث به الرواة عن المجنون ... الخ " ^(٧)

وذكر طه حسين ان مقياسه هذا منقول من الغرب نقلاً أميناً إذ انهم في دراستهم للادب اليوناني " الاوديسة واللياذة " كانوا ينسبون الاحداث الممكنة الى شاعر قادر متفنن وينسبون المفاصل والاحداث المبالغ فيها والمحالة لشعراء ضعاف يعجز خيالهم ويقصر عن الغاية^(٨) .

وربما كان طه حسين يكتب هذا تحت تأثير ما يقوله النقاد عن الرواية الطبيعية والواقعية ، ونحن على كل حال لا يمكن أن نطالب قاصاً قديماً أقرب الى الذوق الشعبي بأن يكون واقعياً ملتزماً بحقائق حياة الانسان المباشرة .

ومن هنا كنا لا نوافق على إلحاح طه حسين في وصف مجنون ليلى بالسخف ووصف قصته بالضعف ولا نظن ان أحدا في القديم والحديث يوافقه ولعله العاشق الذي لا ينافسه عاشق آخر في تأثيره البالغ في الشعر العربي وشعر الشعوب الاسلامية التي تأثرت به كما تحقق في الادب المقارن ..

وعلىنا أن نتذكر مثلاً ان شاعرا كبيرا عاصر طه حسين هو أحمد شوقي أعجب بالمجنون والف فيه قصيدته المسرحية العروفة ، بل وجدنا عالماً من علماء الحديث والفقه يجعله من أول عقلاء المجانين وأشهرهم ويسرد المؤلف بعده طائفة من الاولياء وأساطين المتصوفين^(٩) .

على أن ما دفع طه حسين الى الحكم على المجنون وقصته بالسخف تاريخاً كانت سيرته أم قصة فنية غرامية ، هو أنه فهم جنون قيس كما يفهم المثقف العربي لغته في عصرنا ولم يتمثل معنى الجنون في عصر مجنون ليلى ، وهي لغة أخرى لا نكاد نقع على مدلولاتها إلا بعسر شديد في أحيان كثيرة . وعرب عصر مجنون ليلى ما كانوا يريدون بالجنون ابداً المرض العضوي أو النفسي الذي يشخص وعالج علاجاً علمياً محدداً في عصرنا فقد كان الجنون عندهم مرضاً غامضاً لا يدركون أسبابه على يقين ، ويذهبون في تعليله مذاهب كثيرة ..

منها ومن أكثرها اقناعاً لهم ؟ أن الجنون يعني التباس الجني أو الجنية بالانسان ومداخلته للبشر ، فاذا دخلت الجنية رجلاً صار مجنوناً

وفي هذا المعنى نكتفي بهذه النقول من الجاحظ الذي ما كان يأنف من مقاربة الفكر والقناعات الشعبية .

يقول الجاحظ ؛ " وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة نصف سنة . ونصف سنة يصحو فيحبو ويعطي ويكسو ويحمل فأراد أهله أن يعالجوه فتكلمت امرأة على لسانه فقالت ؛ أنا رقية بنت ملحان سيد الجن ، والله لئن عالجتموه لأقتلنه ، فتركوا علاجه . " (١٠)

قيس بن الملوح اذن - في القصة لا الواقع - عشقته جنية فداخلته ولم يكن حبه ليلى سبب جنونه كما يبدو لمن لا يفهم ما كان يعني الجنون في عصره ، أما كثرة حالات الإغماء والغياب عن الوعي وقد استسخرها طه حسين وانكرها (١١) فيشرحها الجاحظ إذ يقول : " وهم يزعمون ان المجنون اذا صرعته الجنية وان المجنونة اذا صرعها الجني ان ذلك انما هي على سبيل العشق والهوى ، وان الشيطان يعشق المرأة منا ... الخ " (١٢)

والملاحظ ان الشعراء العشاق من الجاهليين والاسلاميين لم يكن أحد منهم مجنوناً في روايات القدماء ، فقد اختص قيس بن الملوح وحده بالجنون دون المرقش الاكبر والاصغر وجميل وعروة بن حزام وابن ذريح وغيرهم .

وجنية قيس بن الملوح ارادت الاستئثار به دون حبيبته ليلى كما هو المعروف من أنانية العشاق ، لكنها عجزت عن اقضاء ليلى من تفكيره ، ولذلك قال الرواة إن ابن الملوح ما كان يستجيب لمحاورة أحد من الناس في أي موضوع ، فاذا ذكرت ليلى عاد اليه وعيه وحضر إدراكه لما يقال وأجاب وأنشد الشعر في حبيبته (١٣) ولم تجد الجنية العاشقة - في القصة لا الواقع - مضراً من أن تحول غريمتها ليلى الى ظبية تضيع بين الأطباء في قطيع يضم العشرات منها ...

ولم يكن أمام العاشق من سبيل إلا أن يلاحق قطعان الطباء ويلاحق
أسرابها ويعيش معها ويهذي بهذا يفسر توحش ابن الملوح ومعايشته للطباء -
دون غيرها من الوحش - وتركه لكل صور معاش الانسان ..
فقد روي انه كان يرتعي معها ثمار الاراك ، وانه كان يمزق ثيابه اذا
كساه أهله ، وان شعر جسمه طال حتى كساه^(١٤) .. وهذا كله كان من
رغبة مؤلف القصة في ان يجعل توحش بطله أتم وأوغل ..
وفي أثناء هذا التوحش وملاحقة الطباء ومعايشة أسرابها كانت
تستوقف المجنون بعضها فيتأملها ويطيل النظر اليها ويتساءل : أهذه
هي ليلى ، أم ظبية غيرها ..
ويحذق في ظبية أخرى فيجدها قريبة من ليلى لولا بعض الخلاف،
ومن هذا قوله مثلاً :^(١٥)

بِاللّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا
لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

.....

فَعَيْنَاكَ عَيْنَاهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا
سِوَى أَنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ

.....

رَأَيْتُ غَزَالًا يَرْتَعِي وَسَطَ رَوْضَةٍ
فَقُلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لَنَا ظُهُرًا

وهذا ليس من التشبيه والمبالغة فيه بل هو من لواحق عبث الجن
بإبن الملوح فقد كان حبه يملئ عليه أن يلاحق ليلى . الظبية . اينما
ذهبت^(١٦)

وَأَتَبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعَتْ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودُّعٌ

كَأَنَّ زَمَاماً فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقاً

تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَاتَّبَعُ

هو اذن لا يملك الا ان يتابع ليلي اينما ذهبت ، وقد يجد ظبية في
حباله صياد فلا يسعه الا ان يخلصها من شركه ويطلقها ويضدبها
ببعض ماله .. فهذه الظبية ربما كانت هي ليلي ... لما يراه من وجوه
الشبه (١٧)

أَيَا شَبِّهِ لَيْلَى لَنْ تَرَاعِي فَاَنْفِي

لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصْدِيقِ

فَعَيْنَاكَ عَيْنَاهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا

سِوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ

.....

لَا تَخَافِي وَالْجَيِّدَ مِنْكَ لِلَّيْلِ

وَالْحَشَا وَالْبَغَامَ وَالْعَيْنَانِ

وقد تتعبه محاولة التعرف على الظبية "ليلى" بين الأطباء فيعزي نفسه
بان الأطباء كلهن حبيباته واليفاته: (١٨)

فَالَا تُكْنِ لَيْلَى غَزَالاً بَعِينَهُ

فَقَدْ أَشَبَّهَتْهَا ظَبِيَّةً وَغَزَالاً

واستحالة ليلي العامرية الى ظبية ليس تخرصا وافترضا بعيدا نذهب
اليه ، إذ امامنا حالات صرح فيها الراوي باستحالة الحبيبة الى ظبية..

فام بلقيس الملكة السبأية عرضت للهداد بن شرحبيل الملك السبأي في صورة ظبية حاصرها ذئب في مضيق في جبل فاتقذها منه .. ثم رآها في صورة شابة فتية جميلة فعشقها ثم عرف من أبيها ملك الجن اليلب بن صعب انها الجنية التي خلصها من الذئب حين كانت ظبية ، وقد زوجها منه وانجبت له بلقيس .^(١٩)

واقرب الى ما نحن فيه ما جاء في كتاب الحكايات العجيبة ومنه^(٢٠) : " ... ارسل الى بعض كهان البعل وقال له : انظر الى هذه الظبية فاني رأيت أمرا هالتي . فقال له الكاهن : ان هذه امرأة من الانس مسحورة ، فتكلم الكاهن بكلام خفي وانتفضت الظبية انتفاضا وعادت جارية حسنة تباهي بحسنها الشمس ... "

وفي الحكاية نفسها ان ابنة بعض الملوك صادت ظبيا وجدته في حديقة قصرها لكنه انتفض فصار شاباً وسيماً حسناً وقال انه يتخفى في صورة الظبي لينظر اليها والى غيرها من الحسان خفية ، وحين خوفته من ابيها قال : " اكون لك في صورتني بالليل واذا جاء النهار عدت الى صورة الظباء " .^(٢١)

هذا ومعايشة الانسان للحيوان والفته موضوع جميل طريف شائع في الادب .. يقول المرقش الاكبر^(٢٢)

وَمَا أَضَانَا النَّارَ عِنْدَ شَوَائِنَا

عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ عَابِسُ

نَبَذْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً مِنْ شَوَائِنَا

حَيَاءٌ وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أَجَالِسُ

فَتَأْضَ بِهَا جَذْلَانِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ

كَمَا أَبَ بِالنُّهْبِ الْكَمِيُّ الْمُحَالِسُ

وهو كثير لا نطيل الكلام به .

ومن طرائف هذا التوحش والفة الحيوان ما رواه عن قران بن حبيب الفقعسي الذي فر الى جبل من قومه فوجد نمرا سبقه اليه فاتخذته صديقا فكان هو يصيد يوما ويطعم النمر من صيده وكان النمر يطعمه من صيده يوما ، وكانا يتعاقبان على مورد الماء ولا يتزاحمان عليه^(٣٣) . ومثل ذلك روي عن القتال الكلابي^(٣٤) .

والتوحش والفة الظباء مما انكره طه حسين انكارا وعدّه من السخف ليس قصراً على المجنون في خيال العرب في الجاهلية واول الاسلام فقد رووا في السير ان عروة بن الوليد وهو أخو خالد بن الوليد كانت له مغامرة مع زوج النجاشي ملك الحبشة ، فاسلمه الملك الى السواحرا اللواتي نفخن ونفثن فيه فتوحش وانضم الى الظباء يعايش اسرابها .. وكان الشعر قد غطى جسده وكل شيء فيه.^(٣٥)

ونظم الشاعر اللص ابو المطراب عبيد بن ايوب العنبري قصة معاشته للظباء والفته لها والفتها له حتى لكان بينه وبينها نسبا يرعاه ويكاد شعره هذا يطابق ما رواه القدماء عن المجنون :

كَأَنِّي وَأَجَالَ الظُّبَاءَ بِقَفْرَةٍ

لَنَا نَسَبٌ تَرَعَاهُ أَصْبَحَ دَانِيَا^(٣٦)

اختار لبطله ان يموت وحيدا ميتة غامضة لم يشهدا احد من أهله فقد روي ان اهله وجدوه في واد خشن كثير الحجارة^(٣٧) ، وهذا المكان الموحش الخشن كثير الحجارة ليس من مواطن الانسان ومساكن البشر المألوفة الممهدة التي يستطيعون مزاوله انشطتهم فيها وهو أقرب والصق بحياة الجن العجائبية التي لها في خيال القدماء ما لها من الرهبة .

ويدلنا موت ابن الملوح على هذا النحو في قصته ان مؤلف قصة ابن الملوح راو بعينه سار بحوادثها الاصلية وفق مسار واضح بدأه بالتباس الجن به وتحويل حبيبته الى ظبية لا يستطيع ان يميزها بين الظباء . وتوحشه وملاحقته للسرب الذي يظن ان ليلى - الظبية - واحدة من امثالها فيه ثم موته في واد موحش نراه منسقا مع حياته كلها .

ونحن اخيرا نحتاج الى التوقف عند الاخبار المتناثرة التي أوردها الرواة وجمعها الاصفهاني في الاغانى وابن طولون في بسط سامع المسامر وغيرهما وهي اخبار صنعت معالم القصة الاصلية .

وتدور اغلب هذه الاخبار حول قسوة قوم المجنون ومنعه من كل انواع الصلة بحبيبته ، فلا هو يستطيع زواجها أو محادثتها أو رؤيتها وهي تزوج من غيره ، واخبار اخرى عن محاولات لعونه ومساعدته تفضل وتنسى ومحاولات لمعالجته لا تجدي ولا تنفع ..

وكل هذه الحكايات المضافة الى القصة ينبغي ان لا يعلق عليها الا القليل من الاهتمام ، لان اكثرها من زيادات الاسمار او من الملصقات بالقصة وهي لغير قيس بن الملوح صاحبنا الذي نهتم به، ومثلها مثل كثير غالب من الشعر الذي نسب اليه باطلا وتساхла، ولعل لنا الان ان نسأل : من هو المجنون قيس بن الملوح الجعدي ، أهو من شخوص الخيال الخالص أم هو شخص من التاريخ الخالص ، أم هو خليط من التاريخ والخيال ؟ وسنرى ان هذا كله تحقق في روايات القدماء عن ابن الملوح .

اما في التاريخ فالقصة قريبة مفهومة ، فابن الملوح رجل من بني عامر كانت له ذرية كثيرة العدد تنتسب اليه مما جعل ابن سلام يقول في طبقاته في ترجمة النابغة الجعدي " ان بني المجنون هم عدد بني جعدة وشرفهم " ^(٢٨) ويؤيده ابن قتيبة فيقول حين يترجم لمجنون ليلى " ان

المجنون له عقب بنجد " (٢٩) وكانت للنابغة الجعدي زوج من بني المجنون
طلقها وظلت تشاغله في ليله ونهاره حتى قال :

ما لي وما لإبنة المجنون تطرُقني

بالليل إن نَهاري منك يكفيني

وكان لعتبة بن جعدة الكلابي زوج من بني المجنون وكانت تطالبه
بان لا يقاتل الروم مع جند خالد بن الوليد وذلك في صدر دولة
الراشدين: (٣٠)

تقول ابنة المجنون هل أنت قاعد

ولا وابيها حلفة لا أطيعها (٢٥)

ومن يكثر التطواف في جند خالد

الى الروم مصلوبا عليها دروعها

فلا بد يوما ان تحدث عرسه

اذا حدثت عنه حديثا يروعها

فالمجنون اذن شخص وجد حقا في الجاهلية وتزوج وانجب ذرية باقية
معروفة بنسبها اليه. وليلى العامرية حبيبة المجنون ذكرها الشعراء في
الجاهلية كما جاء في شعر الطفيل الغنوي الجاهلي: (٣١)

عرفت ليلى بين قوف ضلفع

منازل اقوت من مصيف ومريع

ابى الله الا حبهامرية

تجاور اعدائي واعدائها معي

وذكرها حميد بن ثور الهلالي العامري وهو مخضرم : (٣٢)

لتتخذنا لي بآرك الله فيكما

الى آل ليلي العامرية موعدا

وذكر ليلي مستفيض في شعر شعراء عامر في الجاهلية
والاسلام وكذلك في شعر من كانت له بهم صلة ود او خصومة .. ودل
هذا على ان ليلي صارت رمزا او بديلا تسمى به قبيلة عامر بن صعصعة
من وقت مبكر في الجاهلية ، (٣٣)

وهذا يعني ان قيس بن الملوح وحبيبته ليلي شخصيتان جاهليتان ..
فتى وفتاة من بني عامر تزوجا وانجبا اولادا واحفادا .. ولسبب لا ندرية
ولا نستطيع ان نحققه فقد العاشق حبيبته .. فشق عليه فقدانها وهاله ان
يقبل واقع ما حدث فلجأ الى واحد من البدائل الكثيرة التي يلجأ اليها
الانسان في مثل حاله .

ومن طريف ما يروى من ذلك في الجاهلية مما يماثل ما نحن
بصدده ان غطفان فقدت سيدها سنان بن ابي حارثة المري ولم تتبين اثره
من آثاره في الصحراء فزعمت غطفان ان الجن اختطفته ليستفحلوه
رغبة في نجابة نسله (٣٤) .

ومن ذلك ان الجن استطارت عمرو بن عدي اللخمي صبياً مزيناً
بطوق وما عاد الى اهله الا رجلاً قالوا فيه : شب عمرو عن الطوق (٣٥) ولا
ينبغي ان ننسى ان التناسخ والرجعة من قناعات الامم وعقائدها المعروفة
.. وقد تعلق ابن الملوح بمثل هذه الآمال ..

والجيل التالي من عجائز عامر اضاف الى حقيقة ما جرى هامشا
من الخيال .. فاشرك جنية وجعل عاشق ليلي معشوقا لهذه الجنية التي
لم تستطع صرفه عن حبيبته وزوجه فحولتها الى ظبية ليس من سبيل

الى ان تميز من بين الظباء .. وحكمت بهذا على ابن الملوح بالجنون والتوحش .

اما الرواة المسلمون فاصطنعوا الواناً من الخلط والشكوك والتشويه اولها انهم زعموا ان المجنون رجل اسلامي عاش في زمن الامويين وزعم بعضهم ان فلانا وفلانا رأوه وسمعوا شعره .. ومحووا من ذاكرة الناس واقعة زواجه من ليلى وشطبوا من روايتهم اي ذكر لذريته فلم نجد في ترجمة المجنون المطولة في الاغاني اي ذكر لزواجه او ذريته بل اصر رواة ابي الفرج وغيره على انه حرم من ليلى ومن زواجها ورؤيتها وحديثها وزيارتها وأهدر السلطان دمه ان اقترب من حبيبته وان هذا هو الذي تسبب في جنونه ووحشته .

ونضر آخر من الرواة انكر المجنون انكارا وزعم انه سأل عنه بني عامر حياً حياً فلم يعرفه احد منهم ، وزعم هذا النضر من الرواة ان حكاية المجنون وليلى مختلفة إئتفكها الرواة ولم يكونا في الدنيا قط .^(٣٦) ورواية نقف عندها أخيراً جاءتنا عن الاصمعي المكذوب عليه^(٣٧) انه سأل رجلاً من بني عامر عن المجنون فقال : عن أيهم تسأل ففينا جماعة من المجانين ، قال الاصمعي : عن الذي كان يتغزل بليلى ، قال : كلهم كان يتغزل بليلى ، ثم انشده لبعض هؤلاء المجانين الشعراء الذين يتغزلون بليلى .

والحقيقة ان هذه الرواية تلخص حكاية المجنون تلخيصاً جيداً ، فقد كان قيس بن الملوح اول عشاق ليلى العامرية واقدمهم عهداً في الجاهلية وصار من الجاهلية مثالا للشبان العشاق وحببياتهم ، يتعلقون به ويحاكونه في وفائه وصفاء حبه وبطولته العاطفية ، ومن هؤلاء من كان يعاصر ابن الملوح أو جاء بعده بقليل حتى وجدنا الرواة يختلضون في اسم المجنون ونسبه .

وقد تحقق لي في بحث سابق انه قلما كان شاعر من بني عامر يغفل ذكر ليلي في شعره أو يسمي غيرها .^(٣٨) وقد امتد هذا التعلق بالمجنون الاول وتقليده حتى رووا ان من هؤلاء من كان عباسيا كابن ابي مالك الذي رووا فيه:

" ... واذا انا بابن ابي مالك وهو قاعد في الصحراء بين الحيرة والكوفة ، فقلت : ما تصنع هاهنا ؟ قال : اصنع ما كان صاحبنا يصنع ، قلت : ومن صاحبكم ؟ قال : مجنون بني عامر . " ورووا مثل ذلك عن عاشق مجنون من اهل البصرة .

وذكر ابو الفرج الاصفهاني^(٣٩) حالة اطرف وأغرب وقال : " واما مدرج الريح فاسمه عامر بن المجنون الجرمي ، وانما سمي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم انه يهواها من الجن وانها تسكن الهواء وتترأى " وانما ذكرت مدرج الريح لانه مجنون وابوه ايضا مجنون .. وحبيبته الجنية التي تسكن الهواء تهون على من يقرأ هذا البحث زعم صانع قصة ابن الملوح انه كان يعشق امرأة تحولت الى ظبية .

ان هذه الاجيال من العشاق الذين تشبهوا بابن الملوح واتخذوه مثالا لهم نظموا أشتاتا من الشعر المتفاوت في رصانته وجودة صوغه ولغته ، فمنه ما هو جاهلي خالص ، ومنه ما هو داني المستوى يكاد يكون من الشعر العامي في عصر بني العباس .. ومثل هذا الشعر وهذه الحكايات جمعت جمعا في سيرة المجنون وصيرتها تفقد الكثير من صدقها

الهوامش والمصادر

- ١- حديث الاربعاء ، ط دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦ .
- ٢- المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
- ٣- المصدر نفسه ، ص ١٨١ ؛ فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٦ .
- ٤- حديث الاربعاء ، ١ / ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ " وكل هذا من سخر الرواة " .
- ٥- المصدر نفسه ، ١ / ١٦٨ ولست اعرف عاشقا اغمي عليه كما اغمي على قيس بن الملوح .
- ٦- المصدر نفسه ، ١ / ١٩٨ .
- ٧- المصدر نفسه ، ١ / ٢٠٤ .
- ٨- المصدر نفسه ، ١ / ١٨١ .
- ٩- عقلاء المجانين ، ابو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٧ .
- ١٠- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٥٩/٦ ، ١٦٠/٦ والخبر في الاغاني للاصفهاني ، ط دار الكتب ، مصر ، ٣٥٣/٣ وثمة امثلة اخرى في عقلاء المجانين ، ص ٢٩ . ٣٠ .
- ١١- حديث الاربعاء ، ١ / ١٩٨ .
- ١٢- الحيوان ، المصدر السابق ، ٢١٧/٦ .
- ١٣- الاغاني ، المصدر نفسه ، ١٦/٢ ، ١٧ ، ٤٠ الخ ..
- ١٤- المصدر نفسه ، ٢٢/٢ و ٦٦ .
- ١٥- ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، (دون تاريخ) ، ص ٢٨ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ٢١٥ .
- ١٦- المصدر نفسه ، ص ١٨٧ ، ١٩٥ .

- ١٧- المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ . ٢٧٨ . وقد جمع ابن طولون في كتابه بسط
سامع المسامرت تحقيق عبد المتعال الصعيدي طائفة من اخبار انقاذ
المجنون للظباء ، ص ٣٧ . ٤٠ .
- ١٨- ديوان مجنون ليلى ، المصدر نفسه ، ص ٢١٥
- ١٩ . تاريخ العرب قبل الاسلام ، تحقيق محمد حسين آل ياسين ، مؤسسة
البلاغ ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٨ منسوب لاصمعي .
- ٢٠- الحكايات العجيبة بتحقيق هانز فير ، منشورات الجمل ، بيروت ، ١٩٧٧ ،
ص ٣١٥ .
- ٢١- المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .
- ٢٢- المفضليات ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٢ ، ص
٢٢٦ .
- ٢٣ . المحبر ، ابن حبيب ، ت ايلزة ليختن شيتز ، الهند ، ١٣٦١ هـ ، ص ٢١٦ .
- ٢٤ . ديوان قتال الكلابي ، ت احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢١
- ٢٥ . حكاية عروة بن الوليد مفصلة في الاغاني ٥٦/٩
- ٢٦ . الحيوان ، ١٦٥/٦
- ٢٧ . الاغاني ، ٩٠/٢ .
- ٢٨- طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، دار المحدثي ،
١٢٨/١ .
- ٢٩- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، مراجعة احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت
١٩٦٨ ، ص ٢٠٧ .
- ٣٠ . الوحشيات لابن تمام ، ت الميمني ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ ، ص ١٦٤ .
- ٣١- ديوان الطفيل الغنوي ، ت محمد عبد القادر احمد ، بيروت ١٩٦٨
ص ١٠٣ ،
- ٣٢ . ديوان حميد بن ثور الهاللي ، ت الميمني ، دار الكتب ، مصر ١٩٥١

٣٣- المرأة في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري . دراسة ادبية ،

مصطفى عبد اللطيف جياووك ، مؤسسة المختار للنشر، مصر، ٢٠١١ ،

ص ١٣٥

٣٤. الحيوان ، ٢٠٩/٦ .

٣٥. المصدر نفسه ، ٢٠٩/٦ .

٣٦. الاغانى ، ٣٠٢/٢ .

٣٧. المصدر نفسه ، ٦/٢ .

٣٨- بسط سامع المسامر، ص ٥٠-٥١ وعن ابن طولون فصلا بقوله : "في

افتداء العشاق بالمجنون ... الخ.

٣٩. الاغانى ، ١٢٩/٣

الحضر^(١)

مدينة باسلة تشهد لبطولة شعبها حملتان رومانيتان انتهتا بالفشل والهزيمة ، وحملتان فارسيتان أولاهما فارثيه فشل الحصار الذي فرضته على المدينة ، والأخرى ساسانية لم تنجح إلا بعد حصار امتد أربع سنوات (١).

فبطولة شعب هذه المدينة وزعمائها مؤكدة لا ريب فيها ، غير أنها بطولة عامة من غير تفاصيل .

فلا نعلم من هم أبطالها المقاتلون الذين لاقوا السيف بالسيف ولا الشهداء الذين ضحوا وسخوا بدمائهم .. ولا نملك صورة من مصابرة الشعب المحاصر بين جدران مدينة باسلة .

على إن جواد علي ينقل من مصادره الرومانية صورة عامة بديهة من بطولة المدينة على النحو التالي : في أن برسميا ملك الحضركان من الخصوم المزعجين لسبتيموس سفيرس الروماني (حكم سنة ١٩٣) وقد صبر بجنوده ودافع معهم عن أسوار مدينته حتى أكرهه على فك الحصار عن الحضرو على التراجع عنها بسبب العطش الذي أثر في جيشه على حين كان الماء كثيرا في المدينة مخزونا عندهم .

ويسبب المقاومة العنيفة التي أظهرها الفرسان العرب وإلقاء أهل الحضركنابل النفط على جيوش الرومان ومقاومتهم مقاومة عنيدة حملت الرومان على التراجع عن المدينة وفك الحصار عنها . " ولا بد إن تلك البطولة والعناد تكررا في الحصارين السابقين الفاشلين ولا بد أيضا أن الحضركأبدت عنادا ومقاومة لا مثيل لهما في رد الحصار الأخير الساساني الذي انتهى بتدميرها .

هذا هو تاريخ الحضركالذي نعرفه بيقين . أما النص الفني الأدبي الذي يعنينا فلا نكاد نعرف عنه إلا أسئلة تطرح احتمالات كثيرة مربكة وخيارات فنية متاحة لمن يريد أن يتناول حكاية الحضرك.. وأرى إن في

هذا خيرا كثيرا ، وربما كان للأديب وللفنان فرص متاحة للاجتهاد والإبداع والتميز .. مثل الذي يحدث في تنوع التناول الفني للنصوص التراثية القديمة من وجهات نظر ذات دلالة خاصة تبدو معبرة عن رأي أو عقيدة بعينها .

الرواية العربية الأولى المتاحة تقرب حكاية الحضر من طروادة

هوميروس وحصارها ونهايتها في الأدب الإغريقي .. ينقل جواد علي عن الطبري والنويري^(٢) أن ملك الحضر الأخير الساطرون كان قد هزم الفرس في شهر زور وغنم فيما غنم منهم ابنة ملكهم سابور ، الذي قاد جيشا فارسيا حاصر الحضر ليحرر ابنته من الأسر ويستردها ويثأر من أسريها ..

أما الثأر فقد أنجزه الملك الفارسي الذي احتل الحضر ودمرها وأسر ابنة ملك الحضر .. النضيرة ، التي أنزل بها عقوبة رهيبة إذ ربطها إلى فرس عدا بها حتى مزقها ولم يذكر مصير ابنة الملك في هذه الرواية .. ولعلها ماتت أو قتلت في الحضر . فكانت عقوبة النضيرة انتقاما ملائما مكافئا .

ثمة رواية أخرى تتعارض مع الرواية السابقة تغفل تماما أي ذكر للأميرة الفارسية وتزعم هذه الرواية إن النضيرة أشرفت من أعلى أسوار الحضر ورأت الملك الفارسي وعشقته فدلّت عدو مدينتها على ثغرة دخل منها إلى الحضر ودمرها واشترطت على الملك الفارسي أن يتزوجها ، وقد تزوج الفارسي النضيرة ويزعم رواية هذه النهاية أن الأميرة الحضرية أسهرت زوجها ليلة عرسهما بسبب ورقة آس في فراشهما .. فرأى الملك الفارسي إن هذه الأميرة التي وفر لها أبوها كل هذا الترف والنعمة والرعاية ثم خانت مدينتها ومن فيها من أسرتها وشعبها لا يمكن

أن تؤتمن على الزوج والشعب الغريب عنها ، فريطها إلى الفرس الذي مزقها .

واضح أن هذه الرواية الثانية غير مناسبة لصلاية مدينة الحضر ويطولتها .. وكان الأكثر ملاءمة أن تكون عشقت ابن عمها المقاتل كما يحدث غالبا في الحكايات العربية القديمة .

وإذا قدرنا سببا يصلح أن يكون مبررا لإعدام النضيرة على النحو المروي .. فلا بد أن تكون الأميرة ذات علاقة بالمقاومة الباسلة .. ولا يبعد أن تكون مقاتلة أغضبت الفرس بعنادها وشجاعته .. وتكون هذه الأميرة الحضرية مثيلة للزباء في تدمير .. على أن العقوبة الرهيبة التي وردت في الروايتين السابقتين تبدو متأثرة بالعقوبة التي أنزلها آكل المزار الكندي بزوجه التي أسرها زياد بن الهبولة ومالت إليه وفضلته على زوجها وصرحت بأنها تكره هذا الزوج وتتمنى الخلاص منه .. فقد ربط آكل المزار زوجته إلى فرسين عدوا بها حتى تمزقت ..^(٣)

وثمة حالة قريبة نجدها عند هوميروس .. فقد روي أن أخيل البطل الإغريقي قتل هكتور ثم ربط جثمانه إلى عريته وطاف به حول طروادة ..^(٤)

وهذا التجميع للحالات التي تشابه نهاية النضيرة يراد منه أن يترخص من يريد إعادة تشكيل حكاية الحضر في معالجتها ..

فما روي هو نهاية تخيلها أولا صانع حكاية الحضر القديم .. ثم تدخل خيال الرواة المتأخرين من الجاهلية القريبة من العصر الإسلامي . ومن العصر الإسلامي ..

ولنا أسوة بهيلين الإغريقية التي يرى المختصون أنها قد تكون خيالا ..^(٥)

سؤال ثالث يحتاج إلى إجابة .. ويفتح المجال إلى أكثر من إجابة واحدة ، فالملك الأخير الذي عاصر نهاية الحضرة سمي في الرواية العربية باسمين فهو - الساطرون - الضيزن _
والساطرون اسم لأكثر من ملك من ملوك الحضرة الذين عثر على أسمائهم في آثار المدينة .

ولم يوجد الضيزن في الآثار فهو نيز أو شتمة ولا شك في ذلك ..
فالضيزن في لغة العرب الجاهليين تعني من يفعل فعلة مرفوضة مما عرف عند الفرس المجوس ..

يقول أوس بن حجر في هجاء بعض معاصريه .^(٦)

والفارسية فيهم غير منكورة

فكلهم لأبيه ضيزن سلف

والشهرستاني^(٧) يذكر إن المجوس ظلوا يبيحون الزواج من الأمهات والأخوات والبنات وإن مصلحا مجوسيا حرم ذلك عليهم في أيام أبي مسلم القائد في أيام بني العباس .. لكن العرب في الإسلام ضيقوا الأمر وحصروه في زواج المجوس من بناتهم . روى أبو الفرج الأصفهاني إن إسماعيل بن يسار الشاعر المخضرم الشعبي فخر على العرب فقال :^(٨)

إِذْ تُرِّيَ بَنَاتُنَا وَتَدَسَّوْ

نَ سَفَاهَا بَنَاتُكُمْ فِي التُّرَابِ

فقال أشعب وغيره : وأد القوم بناتهم خوف العار وريتموهن لتنكحوهن.^(٩)
ويذكر ابن حجر العسقلاني إن عمر رضي الله عنه فرق بين بعض المجوس وبناتهم.^(١٠)

ثمة مسافة عريضة إذن لنفهم نيز صانع نص الحضرة الذي ألصقه بالملك

الساطرون ..

فربما كان يعني انه تزوج بالأميرة الفارسية المجوسية دون أن يحولها إلى دين قومه .. ليتقرب بهذه المصاهرة من الملك الفارسي أبيها ، وربما كان الساطرون قد تزوج بواحدة من قريباته المحرمات عليه في العرف العربي .. وربما تزوج ابنته النضيرة نفسها راغبة أو مجبرة .

ولنا أن نفترض من أجل جودة الصنعة القصصية أنها كانت تحب بطلا من مقاتلي الحضركن أباهأ أجبرها وتزوجها متشباها بالفرس ليدفع عن مدينته نهايتها المحزنة - مما لم ينفع على كل حال - وكيفما ذهبت بنا المذاهب فهذا الملك الساطرون انتزعت عنه بطولة الدفاع عن الحضركبلقبه بلقب الضيزن صانع النص القديم لأنه اتهمه بأنه شارك في نهاية المدينة فاستحق بذلك الاستخفاف والملامة ..

لا شك في أننا ترخصنا في الفروض ونوعنا في احتمالات ما كان في النص الأدبي القديم .. وقد جاء ذلك عمدا لفتح الباب أمام المجتهد من أهل الفن والأدب إذا تناول حكاية الحضرمجيدة أخت تدمر وجارة طروادة المجاورة .

المصادر والهوامش

- ١- يمكن أن يجد المهتم المعلومات التاريخية المتعلقة بمدينة الحضر في الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، ٦/٦٠٩ وما بعدها ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٩٣
- ٢- الفصل ٦/٦١٤ وانظر هامش ٢ في الفصل حيث تجد الإحالة إلى الطبري والنويري .
- ٣- أيام العرب في الجاهلية . يوم البردان . أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، ألبابي الحلبي ، ١٩٥٣ ، ص ٤٢
- ٤- تاريخ الأدب الإغريقي ، د. أحمد عثمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ٤٨
- ٥- تاريخ الأدب الإغريقي ، ص ٤٣ " أما السبب الذي يقدمه هوميروس لقيام حرب طروادة . خطف هيلين زوجة ملك اسبرطة على يد الأمير الطروادي باريس فهي الذريعة الواهية .. " .. هذا إذا ما قبلنا بوجود هيلين أصلا وبعبارة أخرى فان رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية هي رواية أسطورية .. "
- ٦- ديوان أوس بن حجر : تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت ، صادر ، ١٩٦٠ ، ص ٧٥ وفي هامش ٢ عن شرح أدب الكاتب : الضيزن الذي يزاحم أباه في امرأته . يقول : الرجل منهم يأتي أمه وخالته فهو ضيزن لأبيه...
- ٧- الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ومحمد رضوان مهنا ، المنصورة ، مصر العربية ، ٢٠٠٦ ، يذكر فرقة من المجوس زعيمها رجل يقال له سيسان .
- ٨- الاغاني ، دار الكتب ٤/٤١١ - ٤١٢

٩- ذهب جواد علي في المفضل ٥/٥٢٩ إلى أن زواج الابن من زوجة أبيه - وهو نكاح المقت المحرم في القرآن الكريم هو الذي كان مرتكبه يلقب بالضيزن _ والحقيقة انه ذكر في نسب قريش من خلف على زوجة أبيه بعده ، ومنهم كنانة ، وهاشم وأضاف المصعب الزبيري حالات مشابهة في الأمويين وفي أسد ، انظر ص ١٠ وص ٩٩ ، ص ٢١١ ، والشاعر تميم بن أبي مقبل خلف على زوجة أبيه في الجاهلية وطلقت منه في الإسلام .. وظل يتغزل بها ويكثر بعد ذلك ويسميها دهماء - ص ٤٠ ، ص ٤٨ الخ ولم يلقب أحد من هؤلاء بلقب الضيزن .

١٠- فتح الباري ٦٨/٧ ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٩

بقیس

بلقيس في الآثار الجاهلية مثل لقمان توقع الباحث في صعوبة التعرف على أصلها التاريخي مع أن هذا لا يلزم الباحث الأدبي أبداً . وقد كان في الجاهلية دون شك أكثر من لقمان واحد وأكثر من بلقيس واحدة .

ولا بد أن يصرف الباحث النظر عن لقمان القرآن الكريم .. وعن امرأة رآها الهدد تحكم سباً وتدبر أمر مملكتهم ، فالقاص العربي القديم لم يعن من قريب أو بعيد بعلاقة هذه المرأة الملكة بسليمان عليه السلام وكان دائماً معنياً بموضوعين أولهما نسبها المشترك إلى الجن والأنس .. وثانيهما كيفية توليها الملك على قومها .
والواضح إن الموضوعين يخرجان على ما جاء في القرآن الكريم عن المرأة التي كانت تحكم سباً .

نسب بلقيس^(١)

روى مؤلف مجهول نسب روايته إلى الأصمعي عن ملك سبأ الهدد بن شرحبيل حكاية جميلة مدارها نسب بلقيس إلى الجن والأنس ويمكن إيجازها كما يأتي : خرج الملك السبأي الهدد في رحلة صيد " فرأى غزالاً يطرده ذئب وقد أضافه إلى ضيق ليس للغزال منه متخلص ، فحمل الهدد بن شرحبيل على الذئب حتى طرده عن الغزال وخلص الغزال منه ... " " فبينما هو كذلك إذ ظهرت له مدينة عظيمة فيها من كل شيء ... " " ... فوقف دونها متعجباً مما ظهر له ، إذ أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة التي ظهرت له ، فسلم ورحب به ... " " ... قال هذه مأرب ، سميت باسم بلد قومك وهي مدينة العرم حي من الجن وهم سكانها ، وأنا اليلب بن صعب ملكهم وصاحب أمرهم " " ... مرت امرأة لم ير الراؤون أحسن منها وجهاً ، ولا أكمل

منها خلقا ، ولا أظهر منها صباحة ، ولا أطيّب رائحة ، فافتن بها الهدهاد بن شرحبيل ... " " ...

فقال : يا ابن شرحبيل ، إن كنت هويتها فهي ابنتي ، وأنا أزوجكها ... " " ... أهل عرفتها ؟ قال ... ما رأيته قبل يومي هذا ، فقال الجني للهدهاد هي الغزال التي خلّصتها من الذئب ... " " ... زفت إلى الهدهاد امرأته الحرور ابنة اليلب بن صعب العرمي ملك الجن ... " " ... وأولدها بلقيس ... " " ... وبقيت بلقيس مع أخوالها العرمم من الجن ، وجلس ابن عم أبيها شمر بن يهرعش في الملك ... " " ... ثم انه أرسل إلى بلقيس يخطبها ، فأجابته إلى ذلك ... " " ... أن شمر يهرعش لم يمت حتى أعطاها خاتم الملك ... " " ... وما درى أحد بموته إلا في أيام سليمان بن داوود حين زوجها الله من سليمان ونقلها إليه ... " .

واضح إن القاص والرواة بعده كانوا في هذا النص معنيين بلقب بلقيس المشترك بين البشر والجن ، وقد أحسن القاص في تشكيل هذا الفصل من القصة فكان لقاء أبي بلقيس الإنسان وأمها الجنية متسقا مناسبا ..

الجنية استحوّلت غزالا حاصره ذئب . " ولا بد أن نتصور أن الذئب هو أيضا جني شرير " وهذا الغزال الذي نجا من الذئب دخل مدينة برزت فجأة وخرج منها ملك الجن .. ومن الطريف أن مدينة الجن تكاد تكون ظلاما لمدينة الإنس فكلتاها مسماة باسم مأرب ، واسم قبيلة الجن " العرم " لها علاقة تاريخية بالإنسان في اليمن^(٢) .

أما ما جاء في آخر النص عن تولي بلقيس مملكة سبأ بناء على قرار زوجها شمر يهرعش ، والإشارة إلى قصة المرأة التي رآها الهدهد ونقل خبرها إلى سليمان عليه السلام فأنا أكاد أجزم أنها ألحقت بالقصة

الجاهلية في الإسلام في عصر متأخر . وسنرى طرفاً من القصص الذي يتعلق بتولي بلقيس مملكة سبأ بعد هذا ..

بلقيس^(٢)

النص الذي نقف عنده الآن يعلل انتقال ملك سبأ ، والغريب أنه لا إشارة فيه إلى نسبها في الجن ولا إشعار بذلك ، ورواية القصة تقول أن ملك سبأ زهير بن عبد شمس .. " فعلاً في مملكته وتكبر وجعل يعتذر النساء قبل أزواجهن كما كان يفعل عمليق .. حتى أدركت بلقيس فقالت لأبيها : " إن هذا الرجل قد فضح نساءكم .. فقل له أن لي بنتاً قد أعصرت وليس في قومها شبيه لها حسناً وجمالاً ، فإن قال لك فابعث بها إلي فقل إن مثلي لا تعتذر ابنته إلا في بيته ... " " فركب فأتاه وقد أدخلت بلقيس نضراً من أقاربها بأسلحتهم ... " ثم دخل البيت الثالث وفيه بلقيس في حليها وحللها مع جمالها .

فلما استلقى على الفراش وأخرج حرسه وأجناده وأمر بالباب فأغلق دونه وكان معه المقاول ... قالت للنضرا خرجوا فخرجوا فقتلوه ... " فخرجت إليهم " قالت : إن هذا الخبيث قد فضح نساءكم وجعلكم شهرة في الناس قد أراحكم الله منه ، فدونكم ملكوا من شئتم فقالوا بأجمعهم : ما أحد أولى بهذا منك ، فولّوها عليه فملكتهم حتى كان من أمر الهدد وسليمان عليه السلام ما كان "

هذه رواية صنعها عالم من علماء اللغة ليس فيها روح الأدب الشعبي وخياله ومدارها على تولي بلقيس مملكة سبأ ، والعجيب أن راوي الحكاية أو صانعها دلنا على أصلها الذي احتذاه حين قال أن زهير بن عبد شمس كان مثل عمليق طسم ، وربما كان هذا الراوي قد أغفل ما كان في النص من خيال صانعه القديم الجاهلي .

والذي يهمننا في الحكاية نصها على أن بلقيس هي " بنت الیشرح بن ذی جدن بن یشرح ... الخ " وهي في النص السابق ابنة الهدهاد بن شرحبیل ، وهي تصبح ملكة سبأ لأنها خلّصت شعبها من حاكمه الظالم وكانت في النص السابق قد ورثت ملك زوجها شمريه ریش الذي كان قد ورثه عن عمه الهدهاد ...

إن اسم بلقيس على هذا كان قد فقد صفته التاريخية وصار علما قصصيا تبني حوله الحكايات فيوفق بعضها ويخفق بعضها . والمعاصر الذي يرغب في تناول هذه الشخصية وقصصها على هذا أحق بالتصرف والاختيار .

المصادر والهوامش

- ١- تاريخ العرب قبل الإسلام ، الأصمعي ؟ ، ت محمد حسن آل ياسين ، ط١ ، دار البلاغ ، ٢٠٠٤
- ٢- نوادر المخطوطات ، أسماء المغتالين ١٢٤/٢ ، ابن حبيب ، تحقيق عبد السلام هارون ، التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٥٤

وضاح اليمن^(١)

قصة وضاح اليمن نص رائع يتفوق على قصص العشاق التي نجدها في كتب متخصصة في قصصهم مثل مصارع العشاق ، وتزيين الأسواق وديوان الصبابة وهي قصص يتكرر فيه مثال واحد تقريبا شاب وشابة يتحابان ويحول مجتمعهما بينهما .. فيمرض الفتى ثم يموت وتلحق به حبيبته فيجمع بينهما الموت .. وثمة حالة جميلة في هذه النهاية .. إذ يدفن عروة بن حزام إلى جوار حبيبته عفراء " فإذا قبران متلاصقان قد خرج من كل قبر ساق شجرة حتى إذا صارتا على مقدار قامة التفت كل واحدة منهما بصاحبتها..." (٢)

أما وضاح فالذي حال بينه وبين حبيبته - روضة - إصابته بالجذام وعزلها في معزل المجدومين .. وقد ظل وفيا لحبه ذاكرا لحبيبته ..

والذي يفهم من لقبه - الوضاح - أنه ظل متصلا بروضة حتى أصابه ما أصابها .. ذلك أن الوضاح يجاور البرص والجذام حتى قال الجاحظ إن ملك الحيرة لقب بسبب بياض أصابه بالأبرص ثم الأبرش ثم الوضاح .. (٣)

ويمكن أن يعتبر الاسم وهو جذيمة صيغة من المجدوم تتصل بالبرص .. وبهذا يكون العاشق هو عبد الرحمن وقد لقبه صانع قصته بالوضاح مثالا للحب الوفي الخالص ..

إلا أن ثمة قصة أخرى مضافة تعترض قارئ نص الأغاني . ففي الأغاني نجد الوضاح مغامراً يعقد صلة بأم البنين بنت عبد العزيز زوج الوليد بن عبد الملك وابنة عمه ..

وكان يدخل عليها أو تدخله هي لأنها عشقته وقد رآه عندها بعض خدم الخليفة ووشى بأم البنين وذكر له أنها تخفيه في

صندوق بعينه .. وقد طلب الخليفة الصندوق من زوجه .. فأعطته إياه
وقد إحتضر حفرة دفن فيها الصندوق ودفن معه الوضاح ..^(٤)

إذا فهمنا لقب الرجل فلا بد أن تكون القصة الأولى قد انتهت
بكونه جذم مثل حبيبته روضة وإذا أخذنا بقول أبي الفرج أن الرجل
لقب بالوضاح لجماله فذلك يمكن أن يصل بين القصتين ونكون أمام
حالة إبداع نادرة ممتازة .. ويكون القاص قد أحدث انقلابا في بطله
حين حوله من العاشق المخلص المتفاني في حبه إلى مغامر يرتبط
بعلاقة عشق يعرف ما قد تجره عليه من خطر بالغ ... لكنه ما عاد يعبا
بشيء بعد حبيبته روضة وهي التفاتة نفسية بارعة نجدها عند هذا
القاص القديم .

ومن المؤسف أننا فقدنا النص الذي وجدته أبو الفرج ولم يعجب به
ولم يروه على وجهه .. ويكون بهذا قد شوّه النص الذي ألفه القاص المبدع
.. وروى حكاية الوضاح وروضة كما يروي تراجم الشعراء والمغنين
ونحوهم في أخبار معزولة متفرقة ... قد لا تكون إذا جمعت بعد جهد
نصا فنيا متكاملا .

ولا بد أخيرا من التأكيد على أن قصة وضاح اليمن خلق فني ولا
أصل لها في الواقع وليس للوضاح ذكر في طبقات ابن المعتز ، أو الشعر
والشعراء لابن قتيبة ، أو معجم الشعراء للمرزباني أو المؤتلف والمختلف
للأمدي .

والجاحظ كان حازما حين قال في كتابه البرصان .. " وليس في
الأرض أبرص يقال له الوضاح غير جذيمة "^(٥) وهو لم يترجم للوضاح
بطل القصة في كتابه .

نطمئن بهذا إلى أن قصة الوضاح خلق فني من عصر العباسيين
من القرن الثالث في الأغلب .. بحيث أن أبا الفرج اطلع على الكتاب

الذي احتوى القصة ولم يطلع عليه سابقوه .. لكن مؤلف القصة
يبقى مجهولا .. ويبقى نصها النادر فنيا مجالا لصور مختلفة
القراءة .

المصادر والهوامش

- ١- مصدرنا في وضاح اليمن هو الأغاني ، ط دار الكتب ٢٠١/٦ ويقول أبو
الفرج في أول الترجمة ٢١٣/٦ : " فأما خبر متصل فلم أجده إلا في
كتاب غث الحديث والشعر لا يذكر مثله ... "
- ٢- مصارع العشاق ، ٢٦٤/١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨
- ٣- البرصان والعرجان ... " ص ١٠٥ ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ،
وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٢
- ٤- القصة المتصلة بأم البنين في الأغاني ٢١٨ /٦ .. ويروي أن الخليفة علم
أن الوضاح يصرح في غزله بأم البنين وقد قتله لذلك .
- ٥- البرصان ... ، الجاحظ ، ص ١٠٥

حديث الرجال الذين خطبوا المرأة وجعلوا صفتهم إلى أحدهم

" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه : خذي مني أخي ذا البجل إذا رعى القوم غفل ، وإذا سعى القوم نسل ، وإذا عمل القوم اتكل وإذا قرب الزاد أكل ، قريب من نضيج ومن نيتى بعيد ، فلحيا لصاحبنا لحيا فقالت المرأة : لا حاجة لي في هذا ... فقال : خذي مني أخي ذا البجلة يخفض نعلي [ونعله] ويحمل ثقلي وثقله ، ويرحل رحلي ورحله ، ويترك نبلي ونبله ، وإذا حل يومه قدمت قبله فقالت المرأة : هذا حمارك لا حاجة لي به ... كما أنت فقد بقيت أنا قالت فحدثني عن نفسك ، قال : أنا لقمان بن عاد لعادية عماد ، إذا اضطجعت لا أجلسني ، ولا تملاً رثتي جنبي إن أر مطمعي فحدأة تلمع وإن لم أر مطمعي فوقاع بصلع . فقالت : لا حاجة لي بك أنت سارق .. أخذت حرينا ... "

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خذي مني كذا وكذا يقول بعض نسائه وفي بعض الطرق أم حبيبة : قد أخذت هذا يا رسول الله فيقول : رويدك فاني لم أفرغ من حديثهم ... الخ

السمة الحوارية واضحة دون شك .. فهذا الذي جعل الرجال صفتهم إليه .. احتل مكانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمرأة المخطوبة أخذت دورها أم حبيبة رضي الله عنها .. ولا شبهة سرد في النص .

وهذا النص حين يقرأ تاماً يبدأ ضاحكاً لأن الذي وصف على هذا النحو تظاهر بالغضب وضحك منه الآخرون ومثله الرجل الخاطب

الثاني .. ثم يكون النص جادا حين يوصف من بعدهما بالكرم والشجاعة والسيادة ..

وهو نص مرن يمكن أن يطول بإضافة رجال آخرين يخطبون هذه المرأة ويمكن أن يختصر بناء على حاجة المتسامرين .

وهذا النص بهذه الرواية سمر لنساء حاضرات يسمعن أو يشاركن في الحوار ونحن نطرح سؤالاً لا بد منه : كيف يصير هذا السمر إذا كان الحاضرون من الرجال يجالسون امرأة واحدة أو يمثل أحد الرجال دور المرأة المخطوبة .. لا بد حينئذ من أن الرجال يصف كل منهم نفسه للمرأة المخطوبة فتقبله أو ترده ..

ومحتوى الحوار نفسه قابل للتنويع ، يثير الضحك أو المماحكة إلى غير ذلك من التنويع .

وفي الخلاصة يمكن أن نرى مطمئنين : ان هذا نص تمثيلي بسيط قريب من المرتجل .. حين يبالغ واحد من الرجل في صفة كرمه وشجاعته وهو معروف بين أصحابه بضد ذلك مثلاً أو حين يتلوه من يزيد عليه .

كل ذلك وغيره يسمح به هذا السمر كما هو واضح .

حديث أم زرع

وهذا نص آخر شاعت روايته في كتب الحديث النبوي وأولع اللغويون بروايته وشرحه . وأرشح لمن يريد أن يدخله في دراسة أن يعتمد على رواية الألوسي في بلوغ الإرب ، وقد اعتمد في روايته وشرحه على طائفة من المصادر .. وبدأ رواية الحديث على هذا النحو : ^(١)

" روى أهل الكتب الصحيحة وأئمة أهل اللغة والأدب أنه خرج إحدى عشرة امرأة من خثعم وهي قبيلة من قبائل عرب اليمن وكانت في قرية من قرى اليمن في الجاهلية إلى مجلس فجلسن وقلن : تعالين نذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ...

قالت الأولى وهي مهدد بنت أبي هزيمة : زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعث لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل .

قالت الثانية : زوجي لا أبث خبره ... وقالت " والمرأة الحادية عشرة وهي عاتكة كما قال ابن دريد في كتاب الوشاح : زوجي أبوزرع فما أبو زرع ، أناس من حلي أذني وملاً من شحم عضدي ... قالت : خرج أبوزرع والأوطاب تمخض ، فوجد امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحتها برمانتين فطلّقتني ونكحها وتزوجت بعده رجلاً سرياً ركب شرياً وأخذ خطياً وأراح علي نعماً ثرياً وأعطاني من كل رائحة زوجاً وقال كلي أم زرع وميري أهلك فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر أنية أبي زرع " .

لو تمثلنا مجلس هؤلاء النسوة وكل واحدة تصف زوجها حين يصلها الدور ، فهذا حديث سمر شارك فيه كل النساء دون حاجة إلى : قالت الأولى - قالت الثانية . ولا بد أن نقرر إن هذا سمر ليس واقعياً وإن

النسوة لم يكن يصفن حقاً أزواجهن بل كن يرددن كلاماً محفوظاً أو مرتجلاً قابلاً للزيادة والنقص .

والمثال المعروف أمامنا نفسه يخفي تحت ظاهره جواً مرحاً هازلاً مسكوتاً عنه ، فالنسوة خرجن من قرية واحدة .. وهن من خثعم كلهن . تعرف كل منهن الأخريات وتعرف أزواجهن ، فهذا الزوج الذي شبهته أولاًهن بلحم جمل غث قد يكون أخاً واحدة من الأخريات مثلاً وهذا سيجعلها تتظاهر بالغضب ثم ترد الدعابة فتصف أخاً صاحبها أو ابن عمها بأنه بخيل أو كسول . ومن وصفت زوجها بالشجاعة والفروسية يمكن أن تثير ضحك الأخريات لأن زوجها معروف بغير ذلك أو يكون مقعداً مثلاً . كل هذا محتمل وراء صفات النساء لأزواجهن مما يتمتع الجالسات المتسامرات ويجعل السمر حياً يثير آثراً مختلفة من المرح والمشاركة في صنع السمر .

وأبو زرع رجل يعمل في زراعة الأرض ، وقد نقل أم زرع من حياة الأعراب والرعاة إلى حياة الزراعة فأعجبته لكنه طلقها وتزوجت بعده أعرابية أخرى يعتمد على الغزو والغنائم .. وهي تفضل زوجها المزارع الذي طلقها على زوجها الفارس رغم شجاعته وجوده . ويذكرنا حديث أم زرع هذا بنص سومري يصور خطبة الراعي دموزي والفلاح انكي أمدو لعشتار .. وكانت تميل إلى الفلاح وحياة الزراعة لكنها بعد ذلك تزوجت الراعي في نهاية النص . وينقل طه باقر إن من الباحثين من يرى في قصة ابني آدم هابيل وقايين تصويراً لهذا التحول في الحضارات القديمة أو التنويع فيها . ونصنا يحدد أن النسوة المشاركات في السمر كن من خثعم من اليمن واليمن يضم هذا التنويع الحضاري منذ تاريخه القديم

.....

١- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ، محب الدين الطبري ، المطبعة العلمية ، ط١ ،

حلب ، ١٩٢٩ ، ص ٢

متابعة موجزة

- ثمة ملحمة مطولة نثرية شعرية محورها هجرة قبائل الأزد بسبب انهيار سد مأرب وحادثة سيل العرم .. يبدأ ذلك بتحذير كاهنتهم طريفة التي أورثت كهانتها لشق وسطيح يضاف إليها في بعض الروايات أنهم رأوا فأرا ينبش في السد فاصطنع سيدهم عمرو بن عامر مشاجرة مع واحد من أبنائه وباع ما يملك من أرض مزروعة ورحل بقومه فكانت يثرب موطننا للأوس والخزرج والشام لغسان وأنشأت تنوخ مملكتها في الحيرة واستقر بعضهم في السراة وكان فيهم مجموعة من الصعاليك العدائين كالشنفري واستوطن بعضهم بعمان .

إن مراجعة هذه الملحمة وإعدادها للدرس الفني تحتاج إلى بصيرة حديثة ناقدة تستبعد الإنسان والأحداث التي يراد منها اليقين التاريخي ، واستبقاء ما تدخل الخيال الشعبي في صنعه .. ولا بد أن لا تكون الواقعية التاريخية متسلطة على اختيار الدارس .

انظر : التيجان ، ص ٢٧٩

- حكاية عمليق واستثنائه بعرائس جديس تكررت كما مربنا مع بلقيس وزهير بن عبد شمس .. ولها مثل في حكاية الفطيون الذي اغتاله مالك بن العجلان الخزرجي .. وأورد وهب بن منبه مثيلين قريبين بطلتهما بلقيس اعتالت في الأول من اسمه عمرو بن عباد والآخرون الأذعار...

انظر : التيجان ، ص ١٥٨ - ١٥٩

فالموضوع كان مفضلا عند الرواة الذين يريدون تصوير تعدي السادة والحكام ورفض جبروتهم من شعوبهم .

- وللمقارنة واستحضار مثيل من غير الأدب العربي نذكر إن
جلجامش عرف عنه مثل هذا الطيش .. جاء في أول ملحمة
جلجامش : " لم يترك جلجامش عذراء طليقة لحبيبها ولا ابنة
المقاتل ولا خطيبة البطل .. "

انظر: ملحمة جلجامش ، ترجمة طه باقر، إعداد وتحرير - سين
ليقي - اونتي ، بغداد، ١٩٧٠ ، ص ٥٤

- موضوع اختيار الزوج أو الزوجة وما تشترطه المرأة وما يشترطه
الرجل .. وعواقب سوء الاختيار ترك لنا وفرة من النصوص المتفاوتة
في الجودة والتميز .. وهذه طائفة منها .

١- حديث بنات ذي الإصبع العدواني ويشترك في أدائه الشعر والنثر
ويأتي في شرح المثل : زوج من عود خير من قعود .

لذي الإصبع أربع بنات سمعن يصفن الزوج الذي ترضاه كل
منهن شعرا إلا الصغرى التي لم تشترط ورضيت بأي زوج .
وزوجهن بحسب شروطهن ثم سألهن بعد سنة عن أزواجهن وعن
ماله الذي ينفق عليهن منه .. الإبل أو البقر أو الماعز أو الضأن
فأثنى على أزواجهن إلا الصغرى فقد قالت في زوجها : شر زوج
، يكرم نفسه ، ويهين عرسه .

انظر : مجمع الأمثال ٤٥١/١ ، الأغاني " دار الكتب " ، ٩٤/٣

وفي هذه الحكاية كما هو واضح حركة وحيوية وتعدد في
المشاهد .

٢- ومثل هذا الحديث نص يرد تحت المثل : ترى الفتيان كالنخل
وما يدريك ما الدخل .

وفيه تصف كاهنة سبعة إخوة تعلوهم الوسامة وآثار النعمة -
يشبه هذا حديث الرجال الذين خطبوا المرأة وجعلوا صفتهم إلى
أحدهم - في النص إن أخت المخطوبة حذرتها من أن تخدمها
المظاهر واختارت واحدا من السبعة ثم تجلى للفتاة إن زوجها كانت
تنقصه الرجولة ولم يستطع حمايتها ثم تزوجت رجلا دميما ظهر
لها انه الرجل المثالي المناسب .

انظر : مجمع الأمثال ٤٥١/١

٣- خطبة امرأة يعرض الرجال أنفسهم عليها بأنفسهم دون وسيط
مثال من ذلك جاء في شرح المثل : لا عتاب على الجندل .. وفيه
أربعة رجال يخطبون ملكة من سبأ .

انظر : مجمع الأمثال ٢٣١/٢

٤- حديث ماوية بنت عفزر وفيه يظهر حاتم الطائي والنابغة
الذبياني ورجل من النبيت " الأوس " ينحر كل منهم ناقة فيهدي
حاتم أطايبها للمخطوبة ويهدي النابغة والآخر ذنبها ، فتختار
الأكرم منهم وهو حاتم الطائي .

انظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة - تحقيق دي غويه ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ١٦٧

٥- حكاية أخرى تشبه خطبة حاتم والنابغة لماوية بنت عفزر ، وتبدأ
على هذا النحو : " قال يونس : كان رجلان يتعشقان امرأة وكان
أحدهما جميلا وسيما وكان الآخر دميما تقتحمه العين .. " .
وكانت تميل للجميل ثم قررت أن تمتحنهما فطلبت منهما أن
ينحرا جزورا وأتتهما متنكرة

فأهداها الجميل ذيل الجزور ووجدت الدميم يقسم لحم الجزور
ويعطي كل من سألته وقد تزوجت الدميم الجواد .

لقد جرد صانع الحكاية أو راويها النص من الأعلام واستبقى فحوى
النص السابق وربما حدث العكس إذ يكون اسم حاتم والنايعة
دخيلين على الحكاية .

انظر: مجمع الأمثال ، ٢٢٤/١ ، شرح المثل جاورينا واخبرينا .

- نصوص تشترط المرأة أو الرجل شرط الذكاء والفراسة والمهارة
اللغوية التي تتجلى في فهم معنى المعنى .. على مثال مشهور هو
شن وطبقة ومثال استدلال أبناء نزار بالآثار ..

١- نص مطول بطله امرؤ القيس .. اشترط أن تجيب المرأة التي يرضاها
على سؤال: اثنان وأربعة وثمانية ، أجابت على السؤال صبية يحملها
أبوها ، فقالت أما اثنان فثديا المرأة وأما أربعة فأحلاف الناقة وأما
ثمانية فأطباء الكلبة . وفي النص أمثلة أخرى من الذكاء
والقيافة . ويبدو أن النص من صناعة القرن الثالث أو الرابع الهجري
إذ لم يروه قبل أبو الفرج الأصفهاني أحد .

٢- نص تشترط فيه امرأة أن يجيب خاطبها على عبارات حديثها بما لا
يزيد ولا ينقص عن عبارتها . وقد نجح من بين خاطبيها عمرو بن
حمران الجعدي الذي لجأ إلى التجريد التام من مثل : " من أنت قال
أنا بشر ولدت صغيرا ونشأت كبيرا ورأيت كثيرا ... قالت قم من أبوك
قال: والدي الذي ولدني ... "

انظر: مجمع الأمثال ١٢٨/٢ - في شرح المثل : كلاهما وثمره نظائر
من حكايات الذكاء والألغاز

- نصوص تعالج فرق السن بين الزوجين .

١- في الصيف ضيعت اللبن ، وحكايته مشهورة وبطلته دختنوس
بنت لقيط بن زرارة التي فضلت ابن عمها الشاب عبد شمس على
زوجها وابن عمها الشيخ عمرو بن عمرو وكلاهما من تميم .
انظر : مجمع الأمثال ٢٣/٢ - المثل في الصيف ضيعت اللبن .

٢- في شرح المثل : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها
تقبل الفتاة الزواج من شيخ بناء على إلحاح أمها في ترغيبها
بالشيخ مثل :
أي الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح الواصل المناح أم الفتى
الوضاح ... الخ
وفي الحكاية أنها رأت جماعة من الشبان يتصارعون " فتنفست
صعداء ، ثم أرخت عينيها بالبكاء فقال لها ما يبكيك؟ قالت :
مالي وللشيوخ الناهضين كالفرخ ... الخ " وقد طلقها ... وانتهى
الزواج بالفشل .

انظر : مجمع الأمثال ١٢٨/١ - في شرح المثل : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١١	ترميم أسطورة جذيمة. والزباء
٢٩	حكاية لقمان بن عاد
٤١	مجنون ليلى. عاشق الظبية ليلى
٥٩	الحضر
٦٩	بلقيس
٧٥	وضاح اليمن
٨١	الأسمار
٨٣	- حديث الرجال الذين خطبوا المرأة
٨٥	حديث أم زرع
٨٧	- متابعة موجزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار الفارابي للنشر والتوزيع
Farabi House Publishing and Distribution
بغداد - شارع المستنير - قرب ساحة الخرجوس

علي بن
تصميم الغلاف

قراءة النص القديم بلغة صناعيه

قراءة النص القديم بلغة صناعيه



الأستاذ الدكتور
مصطفى عبد اللطيف جياووك



أ.د. مصطفى عبد اللطيف جياووك

الطبعة الاولى 2016



دار الفارابي للنشر والتوزيع
Farabi Publishing and Distribution
بغداد - العراق / Baghdad - Iraq

تصميم الغلاف
علي حسن